التعليم
والتنمية البشرية

(دراسة حالة التعليم في أوساط اللاجئين)

أ.د. سلمان زيدان

تركيا- **2015**

Π

[يرفعِ اللهُ الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العِلمَ درجاتٍ]

(سورة المجادلة: آية 11)

ملخص الدراسة

هناك حقيقة مؤداهّا أن التعليمَ حجرُ الزاوية في الحياة الانسانية، ويعتبرُ الركنَ الحاسم في تطوّر روافد الحياة البشرية والمادية والتقنية والاعتبارية، إذ بالتعليم تتحققُ التنمية في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والسياسية والعسكرية وسواها، وبما يؤدي إلى تطوّر في النظام الاجتماعي والاقتصادي والعلمي ككلّ، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق التنسيق والتكامل بين المتغيرات الفكرية والاجتماعية للناس والمؤسسات والمنظمات، أي إحداث تغييرات وتطويرات إيجابية في التنظيم السلوكي للموارد البشرية أولاً، وثانياً في تحسين الأداء على صعيد الطاقات الوظيفية، الادارية والفنية والانتاجية والخدمية. وهنا يتميزُ التعليمُ بالدور الريادي لإحداث هذا التطوير والتحسين المنشود لدائرة العلم والعمل. فإذا كانت آيات القرآن الكريم تؤكّد أن تغيير أحوال الناس مرتبط بتغيير ما بأنفسهم، ومن ثم ينعكس على سلوكياتهم، استنادا الى قوله سبحانه وتعالى: [ذلك بأنَّ اللهَ لم يكُ مُغيّراً نعمةً أنعمَهَا عَلىَ قومٍ حَتى يُغيرّوُا مَا بأنفسِهم وإن اللهّ سميعٌ عليمٌ) (سورة الأنفال: الآية 53)، وعليه، فإن تغييرَ ما في النفوس، كتمهيد ضروري لتغيير السلوكيات نحو الأفضل، يمكنُ أن يتحقق بالإيمان والقناعة بالتعليم، بكل فروعه وتخصصاته ومستوياته. من طرف ثان، لم تعد التنمية الشاملة المستدامة تعتمد على رأس المال المادي فقط، بل إن الاحتياج الأكثر أهمية يتمثّل في وجود قوى عاملة مدرّبة ومؤهلة على الإنتاج الأكثر، والنوعية الأفضل، إذ تشكلُ هذه القوى الرأس مال البشري الذي يتراكم من خلال التعليم. وتؤكّد الإحصائيات، أن الفجوة بين مؤشرات التعليم والتنمية البشرية في الدول النامية من ناحية، والدول الصناعية المتقدمة من ناحية أخرى، تزداد لصالح الدول المتقدمة، وهو ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين التعليم وتنمية الموارد البشرية ومستويات المعيشة؛ ومن هنا تظهر أهمية التعليم في تنمية الموارد البشرية، وبالتالي في رفع مستويات المعيشة، وما يقترن بها من استقرار وأمن وطمأنينة وبناء مادي من دون توقف، بل تقدم الى أمام.

هذه الدراسة تهتم بالتعليم وعلاقته بالتنمية البشرية وما يستتبعها من أدوار وخيارات وروافد روحية واعتبارية ومادية، وسنتعرض فيها الى الجانب التعليمي فيها، المتصل باللاجئين، منطلقاً أساسيّاً في المنهاج الانساني الأصيل والأخلاقي المبدئي، حيث نستشف صورة التعليم المرغوب فيه، سواء بالنسبة للعلوم الدقيقة أو العلوم الإنسانية أو العلوم التي لها

طابع مهني عصري، تنفتح على سوق الأعمال ومتغيراتها، من جهة، وما يصيب اللاجئين من خيارات البقاء والنمو في روافد الحياة الاعتبارية والمعنوية والنفسية والمادية، من جهة أخرى.

المحتويات

المقدمة

الفصل الأول: الفصل التمهيدي

1.1- المقدمة

2.1- أهمية الدراسة

3.1- مشكلة الدراسة

4.1- أهداف الدراسة

5.1- منهجية الدراسة.

الفصل الثاني: العلم والتعلمّ في القرآن والسنة

1.2- العلم والتعلمّ في القرآن الكريم

2.2- العلم والتعلمّ في الأحاديث النبوية الشريفة

3.2- العلم والتعلمّ في أقوال العلماء

الفصل الثالث: أهمية التعليم والتعلمّ في تنمية الموارد البشرية

1.3- تمهيد

2.3- مفهوم وأبعاد التعليم والتعلمّ

3.3- تكاملية أنظمة ومعايير التعليم والجودة

4.3- مجالات الاستثمار في التعليم

5.3- تجارب عالمية في التعليم والتعلّم

الفصل الرابع: دراسة حالة التعليم والتعلمّ في أوساط اللاجئين

1.4- تمهيد

2.4- نشأة قضية اللجوء واللاجئين

3.4- التعليم والتعلمّ في برنامج الامم المتحدة الانمائي

4.4- اللاجئون بين نعمة الأمن والاستقرار وحجم الكارثة

5.4- قدرات اللاجئين في الميزان

الفصل الخامس: الاستنتاجات والمراجع.

الفصل الأول

الفصـل التمهيـدي

1.1- المقدمة

مـن بـديهيات القـول: إن التعلـيم بكـل فروعـه ومسـتوياته وتخصصـاته، يشـكل الاطـار الحقيقي للتنمية البشرية، فإذا أرادت الدول والمجتمعات أن تحقق نمواً حقيقياً وتطوراً فـي روافد حياتها الانسانية والمادية، فإن الأمر والوصف يتطلب الاهتمـام بـالتعليم تصـوراً وتصـرفاً. ومـن المؤكد أن التعليم يدخل ضمن الغايات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، وهـي استراتيجية مستقبلية في لحظة الحاضر، للتحول من ادارة الواقع الـى ادارة المتوقع، فـي سياق الاهتمـام والارتقـاء بالإنسـان والمجتمـع، فكـراً وثقافـةً واقتصـادا وسـلوكاً. ولاشـك فـي أن الأداء البشري والمادي لأي مجتمع، يعتمد على وجه التحديد على واقع الأنظمة التعليمية، وأن تطـوير وتحسين هذه الأنظمة هو المدخل نحـو التنميـة المتكاملـة والحقة لروافد الحيـاة. وتشـير تجـارب دول كثيرة، أن ما تم تحقيقه من مخرجات بشـرية أدنـى بكثيـر مـن حجـم المـدخلات الماديـة فيـه, ذلك أن النظام التعليمي لا يعمل من فراغ اجتماعي, فرغم من أن تطوير النظـام التعليمـي ورفـع كفاءة أدائه، شرط أساسي لتحقيق معدلات نمو اقتصادي أعلـى، إلا أنـه، رغـم أهميتـه، لـيس هـو الشرط الوحيد، فالإبداع لا يخلقه النظام التعليمي وحده، بقدر ما تخلقه البيئة المجتمعية المحيطة.

ضمن هذا السياق، فإن التنمية البشرية تتحقق بإحداث تغييـرات وتطـويرات فـي الهياكل التعليميـة وبمـا يـؤدي إلـى تطـوير وتحسين دائـرة الأداء العـام والخـاص، فـي النظـام الاجتمـاعي ككلّ، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق إحداث التطور الإيجابي المستمر في السلوكيات والطاقـات البشرية الوظيفية، وهنا يأتي دور التعليم لإحداث هذا التطـوير المقصـود والطمـوح. وإذا كانـت آيات القرآن الكريم تؤكّد أن تغيير أحوال الناس مرتبط بتغيير ما بأنفسهم، ومن ثـم ينـعكس علـى سلوكياتهم: [إنَّ اللهَ لا يُغيّرُ مَا بقومٍ حَتى يُغيّرُوا مَا بأنفسِهِم)، فإن تغيير ما فـي النفوس، كتمهيـد ضروري لتغيير السلوكيات نحو الأفضـل، يمكـن أن يتحقق بـالتعليم. فـالتعليم ركيـزة مـن ركـائز التنميـة البشـرية التـي تعتبـر الإنسـان غايـة، "فهـو مصـدرها وفاعلهـا وصـانعها والمسـتفيد مـن نتائجها. إنها تنمية شاملة لا تقاس بوفرة السلع والقدرة على شرائها واسـتهلاكها، بـل تسـعى إلـى

تحقيق كرامة هذا الإنسان، وتتوجه إلى الذات لتجعل البشر يعيشون حاضرهم في طمأنينة ويستشرفون مستقبلهم بكل ثقة وتفاؤل" [1].

وفقاً لهذا التقديم نقول: لا يمكن تصوّر تحقيق تنمية متكاملة الجوانب، أي التي تتحقق في إطار الحفاظ على التوازن البيئي (التنمية المستدامة)، والاعتماد على الذات من خلال إعطاء الأولوية لاستقلال الموارد المتاحة محلياً قبل التعامل مع المؤثرات الخارجية، وكذلك التنمية العادلة ذات التوزيع العادل لثمار النمو الاقتصادي، لا يمكن تصوّرُ تحقيق ذلك في ظلّ مجتمع تغلبُ على سكانه الأميّة، ويسيطرُ الجهلُ على مواطنيه. ولم تعد التنمية الشاملة المستدامة تعتمد على رأس المال المادي فحسب، بل إن الاحتياج الأكثر أهمية يتمثّلُ في وجود قوى عاملة مدرّبة ومؤهلة ونادرة على الإنتاج الأكثر والأجدر، هذه القوى هي رأس المال البشري الذي يتراكم من خلال التعليم بكل صنوفه وأشكاله[2]. وتؤكّد الإحصائيات ذلك، إذ إن الفجوة بين مؤشرات التنمية البشرية في الدول النامية من ناحية، والدول الصناعية المتقدمة من ناحية أخرى، تزداد لصالح الدول المتقدمة، وهو ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين التعليم وتنمية الموارد البشرية ومستويات المعيشة، ومن هنا تظهر أهمية وضرورة التعليم في تنمية الموارد البشرية، وبالتالي في رفع مستويات المعيشة. ولكي نرى بوضوح أهمية العنصر البشري في العملية الإنتاجية يكفينا أن نتصور نتيجة وضع الإمكانيات المادية لأكبر الدول المتقدمة صناعياً وتكنولوجياً تحت تصرف أناس لا خبرة كافية لديهم بكيفية استخدامها وإدارتها, والنتيجة المتوقعة هي انخفاض مستويات الإنتاج لسوء استخدام هذه الإمكانيات. وهذا إثبات آخر للدور الهام الذي تلعبه القدرات البشرية ذات المعرفة والخبرة بمعايير إدارة ادارة الجودة الشاملة، وتطوير ومتابعة التقدم العلمي والتكنولوجية في زيادة الانتاجية والإنتاج, بل إن العنصر البشري ذاته هو أساس كل تقدم علمي وتكنولوجي قديم وحديث[3]. ولذلك فإن التقصير في تنمية العنصر البشري يترتب عليه انخفاض وسوء استخدام المتاح من رأس المال المادي بالكفاية المطلوبة.

2.1- أهمية الدراسة

هذه الدراسة تهتم بالتعليم وعلاقته بالتنمية البشرية وما يستتبعها من أدوار وخيارات وروافد روحية واعتبارية ومادية، وسنتعرض فيها الى الجانب التعليمي فيها، المتصل باللاجئين، منطلقاً أساسيّاً في المنهاج الانساني الأصيل والأخلاقي المبدئي، حيث نستشف صورة التعليم المرغوب فيه، سواء بالنسبة للعلوم الدقيقة أو العلوم الإنسانية أو العلوم التي لها طابع مهني عصري، تنفتح على سوق الأعمال ومتغيراتها، من جهة، وما يصيب اللاجئين من

خيارات البقاء والنمو في روافد الحياة الاعتبارية والمعنوية والنفسية والمادية، من جهة أخرى. فأهمية الدراسة ترجع إلى العناصر الآتية:

1. إن السياسة التعليمية الواضحة والمتوازنة، تساعد في وضع الخطط التعليمية الصحيحة، وتحدد الأطر المنهجية التي يسير عليها التعليم بفروعه وتخصصاته، بل وتوجّه القرارات الرشيدة، وتحدد المسؤوليات والمهمات.
2. كثيرٌ من الدراسات تناولت بالوصف والتحليل، النظام التعليمي في البلدان، من حيث النشأة والتكوين والمشكلات والفرص التطويرية المصاحبة, إلا أن الدراسات التي تناولت سياسة التعليم المتصلة باللاجئين قليلة جداً وتكاد نادرة، واقتصرت في تحليلها على بعض البنود، دون مقارنتها بالتوجهات العامة للسياسات التعليمية الوطنية الصحيحة، وبالمعايير والمواصفات المعتمدة والعاملة في الساحة الدولية، وعلى وجه الخصوص معايير ادارة الجودة الشاملة، على صعيد المدارس والجامعات والمعاهد.
3. التعرّفُ على أهم المقومات والمعايير الأساسية، التي يجب أن تتضمنها أية سياسة تعليمية على المستوى الوطني من ناحية، وعلى المستوى الخاص باللاجئين وظروفهم الانسانية والمادية، والمستقبلية في لحظة الحاضر، من ناحية ثانية.
4. الوقوفُ على حقائق مهمة ذات صلة بالسياسات التعليمية، لكل المهتمين في مجال التربية والتعليم، والباحثين المتخصصين، وكذلك لصانعي ومتخذي القرارات السياسية والتعليمية والانسانية.
5. التحوّلُ من ادارة الواقع الى ادارة المتوقع، سواء في فلسفة ومناهج التعليم، أو في وسائل التعليم المرئية وغير المرئية، وتنمية القدرات البشرية في أوساط اللاجئين, والتي قد تساهم في تحسين وتطوير دائرة أوضاعهم الخاصة، والتعايش مع المجتمعات والأنظمة التي جاءوا اليها، نتيجة ما آلت اليه التدخلاتُ الخارجية والأصابعُ الخبيثة، التي أرادت صنع وزراعة الفتن والدمار والاضطرابات من دون حل، في بلدان هؤلاء الناس الباحثين عن الأمن والأمان والاستقرار، حتى حين، وما ربُّك بغافلٍ عمّا يَعملون.

3.1- مشكلة الدراسة

بما أن التعليمَ مركزُ التقدم الى أمام، وترتبط به حافاتُ المستقبل في لحظة الحاضر، فهو يختلف عن غيره من المجالات، على اعتبار أنه بحاجة مستمرة للتطوير والتحسين، ولارتباطه الوثيق بالعنصر البشري الذي يعتبر محور العملية التعليمية برمتها، والذي يتأثر ويؤثر بدائرة الظروف

المحيطة به، ما دامت الحياة متطورة، ومادام الانسان نفسه متطوراً. وبما أن السياسة التعليمية هي الإطار الذي تعمل فيه النظم التعليمية, فمن الضروري دائماً مراجعة بنودها والمعايير التي بنيت عليها، إلا أنه من الملاحظ على سياسات التعليم في أوساط اللاجئين، أنها في وصف النسيان النسبي من قبل المنظمات الدولية، أو حتى في كثير من الدول الحاضنة لهم، لكونهم من قوميات وأديان ومجتمعات أخرى، وهذا نابع من فلسفتها ونظرتها، مع الأخذ بالاعتبار التباين في الرؤية، تصوراً وتصرفاً، بين هذه الدولة أو تلك من الدول المستقبِلة (الحاضنة) للاجئين. ضمن هذا السياق، تبرز وتتوضح مشكلة الدراسة في الآتي:

كيف تتوافق سياسات التعليم الرسمية وغير الرسمية للدول المستقبِلة (الحاضنة) للاجئين، مع المعايير الانسانية والاخلاقية، والدولية، وكذلك مع التوجهات العامة للسياسات التعليمية للبلدان المعنية نفسها، من حيث الصياغة والمضمون ومدى التجاوب والتعبير عن النظرة ازاء ارهاصات المواطنة والانسانية الحقة، والظروف النفسية والاعتبارية والمادية مع أولئك اللاجئين أو طالبي اللجوء، وتطابقها مع افرازات الواقع ودائرة الاحتضان الانساني؟

4.1- أهداف الدراسة

معلوم أن أي عمل علمي وبحثي، يتضمن هدفاً عاماً أو أهدافاً مرسومة من قبل الباحث، والهدف الرئيس لهذه الدراسة يتجسّدُ في التعرّف على واقع وأهمية التعليم في تنمية الموارد البشرية، وكذلك التعرّف على دراسة حالة التعليم وسط اللاجئين، وفي أدناه توضيح أهداف هذه الدراسة:

1. بيان أهمية التعليم بفروعه وتخصصاته، ودوره في التنمية البشرية، وفي صناعة واتخاذ القرارات الصحيحة على مستوى روافد الحياة، وعلى مستوى المسؤوليات والمهمات.
2. تناول سياسة التعليم المتصلة باللاجئين، والتنبيه الى عدم اقتصرها في التخطيط على بعض البنود، دون مقارنتها بالتوجهات العامة للسياسات التعليمية الوطنية والانسانية المتكاملة والصحيحة، ذات العلاقة بالمعايير والمواصفات الدولية، وعلى وجه الخصوص معايير ادارة الجودة الشاملة، على مستوى المدارس والجامعات والمعاهد.
3. التوضيح لأهم المقومات والمعايير الأساسية، التي ينبغي أن تتضمنها سياسات التعليم على المستوى الوطني من ناحية، وعلى المستوى الخاص باللاجئين وظروفهم الانسانية والمادية، من ناحية ثانية، ومتطلبات اسهامهم الايجابي في سوق العمل، من ناحية ثالثة.

4. تذكير المهتمين في مجال التربية والتعليم، والباحثين المتخصصين، وكذلك صانعي ومتخذي القرارات السياسية والاقتصادية والتعليمية والانسانية، بخطورة اهمال السياسات التعليمية، المتصلة باللاجئين وتنمية قدراتهم في الحاضر والمستقبل.
5. المساهمة في نشر الوعي الثقافي والاعلامي، على أكبر مساحة من الكرة الأرضية، بشرياً ومادياً، بخصوص التعامل الانساني مع اللاجئين، والعمل على تحسين وتطوير دائرة الأوضاع الخاصة بهم، في اطار التعايش والتكيف مع المجتمعات والأنظمة التي جاءوا اليها، ليستقروا فيها، نتيجة ما آلت اليه ظروف بلدانهم، من أحوال موصوفة دفعتهم للهجرة واللجوء.

5.1- منهجية الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة المؤشرة سابقاً، استخدمَ الباحثُ المنهجَ الوصفي التحليلي، الذي يعرفُ بأنه طريقة في البحث، تتناولُ أحداثاً وظواهرَ وممارسات موجودة متاحة للدراسة والقياس، للوصول إلى أحسن النتائج المقصودة، وتحقيق الاتجاهات المرغوبة، بالتوازن المحسوب والمدروس مع استراتيجية التعليم والتعلمّ بشكل عام، والتعليم والتعلمّ وسط اللاجئين. يضاف الى ذلك أن النهج الذي اتبعّه الباحثُ، يناسبُ تماماً مشكلة الدراسة، إذ إنه يساعد على معرفة الحقائق التي تسهمُ في تفسير النتائج التي يتم التوصّلُ إليها، عبر استخدام المراجع العلمية التي تناولت التعليم ومعاييره ودوره في تحقيق التنمية البشرية، وأوضاع اللاجئين وكيفية حصولهم على التعليم والتعلمّ وتنمية القدرات الخاصة والعامة، ليصبحوا حالة تتكامل مع حالة المجتمع والدولة الحاضنة لهم.

الفصل الثاني

العلمُ والتعلمّ في القرآن والسنة

1.2- تمهيد

من المعلوم، أنَّ المعطيات العلمية في القرآن والسنة في مختلف فروع العلم، متعددة ومتنوعة، وتتجه كلها لإقرار حقيقة واحدة كبرى، هي سنّة الله تعالى في خلقه وتقديره في ملكوته. وليس في حقائق العلوم شيء إلاّ وله في القرآن العظيم أصل، وله في السنة المشرفة أساس، كما قال سبحانه تعالى: [ما فرَّطنَا في الكِتابِ مِن شَيء) (سورة الأنعام: الآية 38). وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: "جميع ما يقوله البشرُ من حق، تفسيراً للسنة النبوية المشرفة، وجميع ما تقوله السنة المشرفة تفسيراً لما هو موجودٌ في القرآن الكريم". من هذا نفهمُ أن كل حقيقة علمية هي في الأصل حقيقة قرآنية، ويسرّ الوحي الإلهي في القرآن والسنة تفسير هذه الظواهر الكونية والعلمية لاجتهاد المتخصصين من العلماء على مر العصور، ففي كل عصر يجد الناسُ علماً جديداً لم يكن فهمه متاحاً لمن سبقهم من الناس في عصور مضت. وسيظل القرآنُ والسنة رسالتين متجددتين للناس جميعاً منذ لحظة التنزيل وإلى يوم القيامة.

وبديهي القول: بأن الإعجاز العلمي يتركز على الإشارات العلمية التي ذكرت في أكثر من ألفي آية قرآنية، وفي الأحاديث النبوية ذات الطابع العددي، فضلاً عن الإعجاز اللغوي والبياني والتاريخي. وهنا يجب الالتفات إلى أصل بالغ الأهمية: فما جاء في الشرعيات قد وضح الحق فيه تماماً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل التحاقه بالرفيق الأعلى. لذلك فهي خارج مجال البحث العلمي، إلا فيما يخص الإعجاز في: أسلوب التشريع، وتطبيقه، والإبداع العلمي في العبارات والمعاملات. وقد قال ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: "إن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترقبت اللفظة في القرآن الكريم تجد أن الله علم أي لفظة تصلح أن تلي سابقتها، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره". والذي يتدبرُّ القرآن الكريم يجدُ كلَّ سورة مرتبطة بالسورة التي بعدها وبالسورة التي سبقتها. كما أن آخرَ سورة مرتبطة بالسورة التي قبلها وبأول سورة في القرآن الكريم. والآيات الكريمة في أي سورة من السور مرتبطة ببعضها البعض في المعنى

ارتباطاً كاملاً [4]. ونفهم من كل ذلك أن القرآن الكريم متصل ببعضه اتصالاً وثيقاً. أما الأسلوب البلاغي في الوحي الإلهي فهو أسلوب بلاغي معجز، يعجز أن يأتي بمثله البشر، ويجد علماء اللغة فيه أوجهاً لا حصر لها من وجوه الإعجاز العلمي، وهذا باب آخر من أبواب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ومن إعجاز القرآن والسنة أنه جاء بكليات العلوم مجتمعة في كلماته، وترك تفصيلاتها لفكر الإنسان في كل عصر من العصور بقدر ما آتاه الله من علم. ومن أهم الأمور في منهج دراسة الإعجاز العلمي عدم فصل الحقائق العلمية المذكورة في الآية الكريمة عن مقصد الهداية الدينية فيها، والتي هي لخير الإنسان في الدنيا والآخرة. والدارس للوحي الإلهي يجد أن الحقائق العلمية قد صيغت في أسلوب بلاغي معجز، فهم الناس منه في كل عصر من العصور السابقة على قدر علمهم، فلم ينكروا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية شيئاً. إلا أن الوحي الإلهي لم يوافق الناس على خطأ معتقداتهم العلمية قديمًا، حيث كان كل من القرآن والسنة يذكران الحقائق العلمية الصحيحة، ولم يغادرا منها شيئاً، حتى إذا جاءت عصور العلم وجد الناس أن ما اكتشفوه من الحقائق العلمية مذكوراً في القرآن والسنة، فلم ينكروا من القرآن والسنة شيئاً. وهذا الأسلوب البلاغي في صياغة الحقائق العلمية في القرآن والحديث النبوي من أعجب أوجه الإعجاز العلمي والبلاغي. ومن أمثلة ذلك اللون الفضفاض زمنياً من الإعجاز أنه عندما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجم في السماء، وقال: "أتدرون ما بينكم وبين هذا النجم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينه خمسمائة عام". فهم الناس قديماً من الحديث الشريف أن المسافة بين الأرض وذلك النجم قدر ما يسير راكب الدابة خمسمائة عام، حتى إذا جاءت عصور العلم الفضائي المتقدم علم الناس أنها خمسمائة سنة ضوئية، ولقد أشار الحديث الشريف إلى ذلك تلميحاً، إذ يستحيل الوصول إلى نجم في السماء على ظهر دابة. ومن أمثلة ذلك أيضا قول الله عز وجل: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (يس: 38)، فهم الناس من الآية الكريمة الحركة الظاهرية للشمس فهي تجري أمامهم في السماء من المشرق إلى المغرب كل يوم، فلم ينكروا من الآية الكريمة شيئًا، حتى إذا جاءت عصور العلم واكتشف العلماء حقيقة جري الشمس في السموات وجدوا أن الآية الكريمة تذكره صحيحاً، فلم ينكروا من الآية الكريمة شيئاً [5].

إن الحقائق العلمية التي ذكرت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليس لمجرد السرد العلمي، وإنما ليستدل بها قارئ الآية أو الحديث على حقيقة أخرى تدل على قدرة الله تعالى في خلقه أو على رحمته بعباده، أو تدل على حقيقة وجود الله تعالى ووحدانيته، أو ليتخذ الإنسان منها بطريق القياس والاستنباط، الدليل على حقيقة غيبية مثل حقيقة البعث بعد الموت، مثل قول

الله عز وجل: [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُون) (سورة الروم: الآية 19). فالآية الكريمة تلفت نظرنا إلى حقيقة دورة الحياة والموت التي تتدفق أمامنا في الدنيا في صورة العمليات المتعددة لإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي في عالم النبات وعالم الأحياء جميعاً، وفي إحياء الأرض بعد موتها بنزول المطر عليها، فيسهل علينا بطريق الاستدلال العلمي التعرف على حقيقة الحياة بعد الموت يوم القيامة. واستقرار الإيمان بها في القلب عن طريق العقل، وهذا أفضل الإيمان، فالذي صدق معنا فيما نرى ونعلم في الدنيا صادق معنا فيما لا نرى ولا نعلم في الآخرة. ومن ذلك نفهم – يقيناً - أن بيان الإعجاز العلمي في أية آية قرآنية أو حديث نبوي من دون ربطه بالهداية الدينية التي تعقب بها الآية والحديث يعد بياناً ناقصاً منا أو بحثاً غير مكتمل.

2.2- العلم والتعلمّ في القرآن الكريم

من المعلوم لدى العلماء والباحثين في تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، أن القرآن يفسرّ بعضه بعضاً، فما أجمل في موضع فصل في موضع آخر، وبالتالي يجب ألا تتعارض المعالجة العلمية لنص قرآني مع مضمون نص قرآني آخر، وبهذا تكون المطابقة بين الحقيقة الكونية وجملة ما يتصل بها أو بموضوعها من الآيات القرآنية، لا بينها وبين آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر ولا يتبين إلا في ضوء آية أو آيات أخرى في نفس موضوعها. وفي هذه السياقات الايمانية، نذكر بعضاً من الآيات القرآنية التي وردت في محكم كتاب الله الحكيم عزَّ وجلَّ، والتي تعرضت الى العلم والتزود به، والعلماء ومكانتهم عند الله [6]:

قال الله تعالى: [اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذي خلَق. خلَقَ الإنسانَ من علَق. اقرأ وربُّكَ الأكرم. الَّذي علَّمَ بالقلَم. علَّم الإنسانَ ما لم يعلم] (سورة العلق: الآيات 1-5).

وقال سبحانه جلَّ شأنه: [يرفعِ اللهُ الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العِلمَ درجاتٍ] (سورة المجادلة: الآية 11).

وقال العزيز الحكيم: [إنَّ في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ واختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألباب الَّذين يَذْكُرونَ الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم ويتفَكَّرونَ في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ. ربَّنا ما خلَقْت هذا باطلاً سبحانَك فَقِنَا عذابَ النَّار] (سورة آل عمران: الآية 190-191).

وقال الله تعالى: [ن والقلمِ وما يَسْطُرون] (سورة القلم: الآية 1).

وقال عزَّ وجلَّ: [وقل ربِّ زدني علماً] (سورة طه: الآية 114).

وقال تبارك وتعالى: [أَمَّنْ هو قانتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائماً يَحذَرُ الآخرةَ ويَرجو رحمةَ ربِّهِ قلْ هل يستوي الَّذين يعلمونَ والَّذين لا يعلمونَ إنَّما يَتَذكَّرُ أولوا الألباب] (سورة الزمر: الآية 9).

وقال الله تبارك وتعالى: [ألم تَرَ أنَّ الله أنزلَ من السَّماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مُخْتلفاً ألوانُها ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سُودٌ ومن النَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مُختلفٌ ألوانُهُ كذلك. إنَّما يَخشى الله من عبادهِ العلماءُ إنَّ الله عزيزٌ غفور] (سورة فاطر: الآية 27-28).

وقال العليم الحليم سبحانه وتعالى: [هوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالحِسَاب مَا خَلَقَ الله ذلكَ إلاَّ بِالحقِّ يُفصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعْلَمُون] (سورة يونس: الآية 5).

وقال الخالق تبارك وتعالى: [ألم تَرَوْا أنَّ الله سَخَّرَ لكم ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ وأسْبَغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وباطنَةً ومن النَّاسِ من يُجادِلُ في الله بغيرِ علْمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ مُنير] (سورة لقمان: الآية 20).

وقال السميع البصير سبحانه: [الله الَّذي خلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وما بينَهُما في ستَّةِ أيَّامٍ ثمَّ استوى على العرشِ ما لكم من دونِه من وليٍّ ولا شفيعٍ أفلا تَتَذكَّرون. يُدبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ ثمَّ يَعْرُجُ إليه في يومٍ كان مقدارُهُ ألفَ سنةٍ ممَّا تَعُدُّون] (سورة السجدة: الآية 4-5).

وقال الله تعالى: [وإنَّ يوماً عند ربِّكَ كألفِ سنةٍ ممَّا تَعُدُّون] (سورة الحج: الآية 47).

ويبيّن الجدول رقم (1) بعضاً من الآيات القرآنية التي وردت في محكم كتاب الله الحكيم عزَّ وجلَّ، والتي تناولت العلم وأهمية التزود به، والعلماء ومكانتهم عند الله العليم الحكيم.

الجدول رقم (1) يوضح بعض الآيات القرآنية التي تخص العلم والعلماء ومكانتهم*

م	الآية القرآنية	رقم الآية
1	[اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذي خلَق. خلَقَ الإنسانَ من علَق. اقرأ وربُّكَ الأكرم. الَّذي علَّمَ بالقلَم. علَّم الإنسانَ ما لم يعلم]	سورة العلق: الآيات 1-5
2	[يرفعِ اللهُ الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العِلمَ درجاتٍ]	سورة المجادلة: الآية 11
3	[إنَّ في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ واختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألباب الَّذين يَذْكُرونَ الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم ويتفَكَّرونَ في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ. ربَّنا ما خلَقْت هذا باطلاً سبحانَك فَقِنَا عذابَ النَّار]	سورة آل عمران: الآية 190-191
4	[ن والقلمِ وما يَسْطُرون]	سورة القلم: الآية 1
5	[وقل ربِّ زدني علماً]	سورة طه: الآية 114
6	[أَمَّنْ هو قانتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائماً يَحذَرُ الآخرةَ ويَرجو رحمةَ ربِّهِ قلْ هل يستوي الَّذين يعلمونَ والَّذين لا يعلمونَ إنَّما يَتَذكَّرُ أولوا الألباب]	سورة الزمر: الآية 9
7	[ألم تَرَ أنَّ الله أنزلَ من السَّماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مُخْتلفاً ألوانُها ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سُودٌ ومن النَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مُختلفٌ ألوانُهُ كذلك. إنَّما يَخشى الله من عبادِهِ العلماءُ إنَّ الله عزيزٌ غفور].	سورة فاطر: الآية 27-28
8	[هوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالحِسَاب مَا خَلَقَ الله ذلكَ إلاَّ بِالحقّ يُفصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعْلَمُون]	سورة يونس: الآية 5
9	[ألم تَرَوْا أنَّ الله سَخَّرَ لكم ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ وأسْبَغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وباطنَةً ومن النَّاسِ من يُجادِلُ في	سورة لقمان: الآية 20

	الله بغيرِ علْمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ مُنير]	
10	[الله الّذي خلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وما بينَهُما في ستَّةِ أيَّامٍ ثمَّ استوى على العرشِ ما لكم من دونِه من وليٍّ ولا شفيعٍ أفلا تَتَذكَّرون. يُدبّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ ثمَّ يَعْرُجُ إليه في يومٍ كان مقدارُهُ ألفَ سنةٍ ممَّا تَعُدُّون]	سورة السجدة: الآية 4-5

*الجدول من اعداد الباحث.

وفق هذا المنهج العظيم الذي يرشد اللهُ الحليمُ العليم، عباده، الى طريق العلم والهداية، يكفي أن نشيرَ الى أن الله تعالى قال في أول سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: [اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) (سورة العلق: الآيات 1-5). ففي هذه الآيات أمر الله بالقراءة مرتبة، وذُكر العلم ثلاث مرات، وبين القراءة والعلم كان الخلق، إشارة إلى أن الخلق إنما كان على علم. وذكر القراءة الأولى أمراً بالقراءة في كتاب الله المنظور: وهو الكون، وأمر بالقراءة ثانياً في كتاب الله المسطور: وهو القرآن الكريم. فقدم مطالبة الكون على قراءة القرآن، وهذا يشير إلى أنه ينبغي على الإنسان المزمن أن يؤدي عبادته في المسجد صلاة لله تعالى، ثم يخرج من المسجد إلى صلاة أخرى لله تعالى في المعمل أو المرصد أو المختبر فهذه صلاة أخرى لله عز وجل في محراب العلم، فالتدبر العلمي في سنن الله الكونية يجب أن تكون متصلة بتدبر آيات الله في كتابه العزيز، وهذا هو أساس المنهج العلمي لبيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. وهناك أمر آخر: وهو أن اختلاف وجهات النظر في بيان الإعجاز العلمي في آية معينة أو حديث معين لا يدل على خطأ في بعض وجهات النظر، بل ربما تكون كلها صحيحة، وذلك أن كلمات الله تعالى ووحيه في الحديث النبوي الشريف تتصف بالإحاطة والشمول. كما أنها كالجواهر لها أوجه متعددة، إذا نظر الإنسان إلى أي وجه من أوجهها، رأى علماً عظيماً، وكلها أوجه متعددة وصحيحة لجوهرة واحدة هي الوحي الإلهي في القرآن والسنة. ولا يرى إنسان أوجه الجوهرة كلها إذا نظر إليها من زاوية واحدة؛ لذلك لا يعرف أوجه الحقائق في كلمة واحدة من الوحي الإلهي إلا فريق من العلماء كل منهم يبحث في وجه واحد من وجوه العلم، ثم إن ما يصلوا إليه جميعاً لا يكون بجانب علم الله المكنون في الكلمة شيئاً مذكوراً[7].

3.2- العلم والتعلمّ في الأحاديث النبوية الشريفة

قالَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليْه وسلَمَ: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يُفَقِّهْهُ في الدِّيْن" (متفق عليه).

عَنْ ابنِ مَسْعودِ رضيَ الله عنهُ قال: قالَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلَمَ: "لا حَسَدَ إلاَّ في اثنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاه اللهُ مَالاً فسَلَّطَهُ عَلى هَلَكتِهِ في الحَقَّ ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقضِي بِها وَ يُعَلِمُّها" (متفق عليه).

عن سَهْل بنِ سَعد رَضيَ اللهُ عنهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلى اللهُ عليْه وسلم قال لعلي رضي اللهُ عنهُ: "فو اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ" (متفق عليه).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ الله عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ قال: "وَ مَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقاً بِهِ إلى الجَنَّةِ" (رواه مسلم).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ الله عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ قال: "مَن دَعَا إلى هُدَى كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثلُ أُجُورِمَنْ تبعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أجُورِهِم شَيئاً" (رواه مسلم).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ الله قالَ: قالَ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ: "إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عمَلُهُ إلاَّ منْ ثَلاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أووَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (رواه مسلم).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ الله عنهُ قالَ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ يَقُول: "مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فهو في سَبِيْلِ اللهِ يَرْجِعَ" (رواه الترمذي).

عَن أبي أُمَامَةَ رضيَ اللهُ عنهَ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلمَ قالَ: "فَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْنَاكُمْ". ثم قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ وَأَهْلُ السَّمَواتِ والأرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ في حُجْرِهَا وَ حَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِمِي النَّاسِ الخَيْرَ" (رواه الترمذي).

عَن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يَقُولُ: "مَن سَلَكَ طَرِيْقَاً يَبْتَغِي فِيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقَاً إلى الجَنَّة وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضَاً بِما يَصْنَعُ وَ إنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغفِرُ لهُ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ حَتَّى الحِيْتَانُ في المَاءِ وفَضْلُ العَالِمِ عَلى العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ وإنَّ العُلَماءِ وَرَثَةُ الأنبِيْاءِ وإنَّ الأنبِيْاءَ لَمْ يُوَرِثُوا دِيْناراً ولا دِرْهَماً وَ إنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ" (رواه أبو داود والترمذي). وبغرض تعميم الفائدة من وراء ذكر الحديث النبوي الشريف الآنف الذكر، نشير

في ادناه الى تفسير الحديث ومكانة طالب العلم، فهذا الحديث عظيم، وجليل القدر يبين فضل العلم وشرف حامله، من وجوه عديدة منها [8]:

الأول: أن الله - تعالى - أثاب طالب العلم على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصل إلى الله تعالى وإلى رضوانه، أثابه الله عليه أن يسر له طريق الجنة، مقصده وغايته.

الثاني: تعظيم الملائكة لطالب العلم وحبها إياه وحياطته وحفظه، ولو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً وفضلاً.

الثالث: أن طالب العلم شبيه بالملائكة، فإن الملائكة من أنصح خلق الله لعباد الله، كما قاله بعض التابعين ولا ريب أن طالب العلم قد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله.

الرابع: أن جميع المخلوقات تستغفر له حتى الحيتان في الماء، لأنه لما سعى فيما به نجاة النفوس، جوزي من جنس عمله، وجعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من الهلاك باستغفارهم له.

الخامس: أن العالم شبيه بالقمر الذي يضيء الآفاق يمتد نوره في أقطار العالم، أما العابد فشبيه بالكوكب الذي نوره لا يجاوز نفسه. وإن جاوزها فهو غير بعيد.

السادس: أن العلماء ورثة الأنبياء خير خلق الله. فهم أحق بميراثهم. وإذا كان الميراث ينتقل للأقرب فهذا تنبيه بأن العلماء أقرب الناس إلى الأنبياء، وهذه منقبة عظيمة.

السابع: أن العلم أعظم الحظوظ وأجداها، لأن نفعه يدوم في الدارين. والأدلة على فضل العلم وعظيم نفعه وشرف صاحبه كثيرة، ويكفي في فضله وشرفه أن العلماء ورثة الأنبياء وأن الله تعالى قرن شهادتهم بشهادته على أجل مشهود وهو توحيده سبحانه وتعالى، فعلى طالب العلم إخلاص النية لله تعالى فينوي بطلب العلم رضا الله تعالى والدار الآخرة، ورفع الجهل عن نفسه وعن غيره، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه.

وفي هذا الاطار، قال ابن جماعة رحمه الله: "حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله". وقال سفيان الثوري: "ما

عالجت شيئاً أشد علي من نيتي"، وعليه أن يبادر العمر وزمن الشباب، ويفرغ نفسه لطلبه قدر استطاعته، ويسعى جهده لتحصيله، وليحذر الملل فهو مرض يصاب به عدد من المتعلمين، كما عليه أن يحفظ وقته، وهي ضياع العمر بغير فائدة، و ألا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه، وأن يتواضع في طلبه، ويستفيد من أي شخص كان، وينتهز كل فرصة للاستزادة من العلم، حاملاً قلمه ودفتره، مسجلاً ما يلقى إليه لئلا يضيع وينساه. وليعلم أن المعاصي والهموم وكثرة الاشتغال مما يعوق حفظ العلم. ومن المؤكد أن المنزلة السامية، والثواب العظيم لطالب العلم، لا يكون إلا لمن عمل بعلمه. ومن هنا وجب إتباع العلم بالعمل. وظهور آثار العلم على مقتنيه، فالعلم إنما يطلب ليعمل به، كالمال يطلب لإنفاقه في طرق الخير، وإذا لم يتحول العلم إلى واقع ملموس يراه الناس فهو وبال على صاحبه، والجاهل خير منه.

4.2- العلمُ والتعلمّ في أقوال العلماء

وأما الآثار فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق، وقال علي أيضا رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، وقال رضي لله عنه نظماً [9]:

ما الفخرُ إلا لأهلِ العِلْم إنَّهـــم على الهدى لمن استهدى أدلاَّءُ

وقَدْرُ كلِّ أمرئ ما كان يُحْسِنُه والجَاهِلُون لأهْل العلم أعَداءُ

ففُزْ بعلمٍ تَعِشْ حياً به أبـــداً النَّاسَ موتى وأهلُ العِلْمِ أحْياءُ

وقال أبو الأسود: "ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك". وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه". وسئل ابن المبارك: "من الناس؟ فقال: العلماء قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم؛ فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه، فإن الجمل أقوى منه، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم". وقال بعض

العلماء: "ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم". وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى) [10].

وقال فتح الموصلي رحمه الله: "أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى، قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت". ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به؛ إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه؛ كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا؛ فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحسَّ بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا [11].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء". وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته، فو الذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم، فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم". وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها". وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله. وقال الحسن في قوله تعالى: [ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (سورة البقرة: الآية 201. سورة التوبة: الآية 122) إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة، وفي الآخرة هي الجنة، وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتني، قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك، يعني العلم، وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت. وقال بعضهم: "من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار" [12].

وقال الشافعي رحمه الله: "من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن رفع عنه حزن". وقال عمر رضي الله عنه: "يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه، فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه، فإن أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت". وقال الأحنف رحمه الله: "كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره". وقال سالم بن أبي الجعد: "اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني، فقلت: بأي شيء أحترف، فاحترفت بالعلم، فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا، فلم آذن له". وقال الزبير بن أبي بكر: "كتب إلي أبي بالعراق:

عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا، وإن استغنيت كان لك جمالا". وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه قال: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء". وقال بعض الحكماء: "إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره". وقال الزهري رحمه الله: "العلم ذكر ولا تحبه إلا ذكران الرجال" (13).

اذن.. العلم هو إدراك المعلومات الصحيحة، والجهل إدراك المعلومات الخاطئة، والأمية هي عدم العلم، فهي ليست عيبا، فما نعلمه هو نقطة من بحر ما لا نعلمه. فكل واحد منا وُلد من أمه لا يعلم شيئا. ثم كبرنا و تعلمنا ولا نزال. وأسوأ من الجاهلِ الجاهلُ المركب الذى دخل الجهل أعماقه وتراكبت المعلومات الغير صحيحة فوق بعضها في ذاكرته وحفظه. وأسوأ منه الجاهل المعاند الذى لم يكتفي بجهلِهِ جهلَهُ، بل يرى أنه على الصواب والعالم مخطئ ويصرّ على ذلك، فيطرد ما هو فى أمس الحاجة له. هذه المقدمة والتعريف مهمان حتى لا نتوه في القراءة. كذلك الفقه في اللغة العربية فهو الفهم، وإنّما العِلمُ بالتَّعلُّم والتفهم والتفكر. ويفيدنا صاحب لسان العرب رحمه الله بأن (الفقْه: العلم بالشيء والفهمُ له، وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه وشرفه وفَضْلِه على سائر أَنواع العلم، كما غلب النجمُ على الثُّرَيَّا، والعُود (البخور) على المَنْدَل. وفَقِه فِقْها: بمعنى عَلِم عِلْماً. وفي حديث سَلْمان رضي الله عنه: أَنه نزل على نَبَطِيَّةٍ بالعراق فقال لها: هل هنا مكانٌ نَظِيف أُصَلِّي فيهِ؟ فقالت: طَهِّرْ قَلْبَك وصَلِّ حَيْثُ شِئْتَ، فقال سلمان: فَقِهَت أَي فَهِمَتْ وفَطِنَتْ للحقِّ والمَعْنى الذي أَرادَتْ، وكل عالم بشيء فهو فَقِيه، والفِقْه الفِطْنَةُ (14).

وقيل إن سيدنا موسى عليه السلام، سأل ربه الجليل سبحانه وتعالى، أي عبادك أعلم. قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردي. فقال موسى عليه السلام: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فأدللنني عليه. فقال: اعلم منك الخضر. قال: فأين أطلبه؟ قال على الساحل عند الصخرة. قال: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل (زنبيل) فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني. فذهبا يمشيان، ورقد موسى، واضطرب الحوت وطفر إلى البحر. فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فرجع من ذلك الموضع إلى الموضع الذي طفر الحوت فيه إلى البحر. فإذا رجل مسجى بثوبه، فسلم عليه موسى عليه السلام، فقال فعرفه نفسه، فقال: يا موسى أنا على علم، علمني الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا. فلما

ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء، فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر.

وعلى هذا الأساس، يجب أن يتعلم الانسان، أن هذه الآيات تدل على أن سيدنا موسى عليه السلام، راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف، عندما أراد أن يتعلم من الخضر. فأحدها، أنه جعل نفسه تبعاً له، لأنه قال: هَلْ أَتَّبِعُكَ. وثانيها، أن استأذن في إثبات هذا التبعية، فإنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك، وهذا مبالغة عظيمة في التواضع. وثالثها، أنه قال: على أن تعلمني، وهذا إقرار له على نفسه بالتعلم، وعلى أستاذه بالعلم. ورابعها، أنه قال تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ، فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزأً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزأً من أجزاء ماله. وخامسها، أن قوله مِمَّا عُلِّمْتَ، اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم. وسادسها، أن قوله رَشَدًا طلب منه للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال. وسابعها، أن قوله تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ، معناه أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به، وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك عليّ عند هذا التعليم، شبيهاً بإنعام الله تعالى عليك في هذا التعليم. ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفاً. وثامنها، أن المتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير لأجل، كونه فعلاً لذلك الغير، قوله: هَلْ أَتَّبِعُكَ، يدل على أنه يأتي بمثل أفعال ذلك الأستاذ، لمجرد كون ذلك الأستاذ آتياً بها، وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه في أول الأمر، التسليم وترك المنازعة والاعتراض. وتاسعها، أن قوله اتَّبَعَكَ يدل على طلب متابعته مطلقاً في جميع الأمور، غير مقيد بشيء دون شيء. وعاشرها، أنه ثبت بالإخبار أن الخضر عرف أولاً أنه نبيّ بني إسرائيل، وأنه هو موسى صاحب التوراة، وهو الرجل الذي كلمّه الله عزّ وجلّ، من غير واسطة، وخصّه بالمعجزات القاهرة الباهرة، ثم إنه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع، وذلك يدل على كونه عليه السلام آتياً في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة، وهذا هو اللائق به، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، وكان تعظيمه لأرباب العلم أكمل وأشد. والحادي عشر، أنه قال: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن، فأثبت كونه تبعاً له أولاً، ثم طلب ثانياً أن يعلمه وهذا منه ابتداء بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم. والثاني عشر، أنه قال هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن، فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئاً. كأن قال لا أطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه ولا غرض لي إلا طلب العلم [15].

الفصل الثالث

أهمية التعليم والتعلمّ في تنمية الموارد البشرية

1.3- تمهيد

هناك حقيقة مؤداهّا أن التعليمَ حجرُ الزاوية في الحياة الانسانية، ويعتبرُ الركنَ الحاسم في تطوّر روافد الحياة البشرية والمادية والتقنية والاعتبارية، إذ بالتعليم تتحققُ التنمية في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والسياسية والعسكرية وسواها، وبما يؤدي إلى تطوّر في النظام الاجتماعي والاقتصادي والعلمي ككلّ، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق التنسيق والتكامل بين المتغيرات الفكرية والاجتماعية للناس والمؤسسات والمنظمات، أي إحداث تغييرات وتطويرات إيجابية في التنظيم السلوكي للموارد البشرية أولاً، وثانياً في تحسين الأداء على صعيد الطاقات الوظيفية، الادارية والفنية والانتاجية والخدمية. وهنا يتميزُ التعليمُ بالدور الريادي لإحداث هذا التطوير والتحسين المنشود لدائرة العلم والعمل. فإذا كانت آيات القرآن الكريم تؤكّد أن تغيير أحوال الناس مرتبط بتغيير ما بأنفسهم، ومن ثم ينعكس على سلوكياتهم، استنادا الى قوله سبحانه وتعالى: [ذلك بأنَّ اللهَ لم يكُ مُغيّراً نعمةً أنعمَهَا عَلىَ قومٍ حَتى يُغيرّوُا مَا بأنفسِهم وإن اللهّ سميعٌ عليمٌ) (سورة الأنفال: الآية 53)، وكذلك قوله تعالى: [إنَّ اللهَ لا يُغّيرُ مَا بقومٍ حَتىَ يُغيّروُا مَا بأنفُسِهم) (سورة الرعد: الآية 11)، وعليه، فإن تغييرَ ما في النفوس، كتمهيد ضروري لتغيير السلوكيات نحو الأفضل، يمكنُ أن يتحقق بالإيمان والقناعة بالتعليم، بكل فروعه وتخصصاته ومستوياته.

من طرف ثان، لم تعد التنمية الشاملة المستدامة تعتمد على رأس المال المادي فقط، بل إن الاحتياج الأكثر أهمية يتمثّل في وجود قوى عاملة مدرّبة ومؤهلة على الإنتاج الأكثر، والنوعية الأفضل، إذ تشكلُ هذه القوى الرأس مال البشري الذي يتراكم من خلال التعليم. وتؤكّد الإحصائيات، أن الفجوة بين مؤشرات التعليم والتنمية البشرية في الدول النامية من ناحية، والدول الصناعية المتقدمة من ناحية أخرى، تزداد لصالح الدول المتقدمة، وهو ما يؤكد العلاقة

الوثيقة بين التعليم وتنمية الموارد البشرية ومستويات المعيشة؛ ومن هنا تظهر أهمية التعليم في تنمية الموارد البشرية، وبالتالي في رفع مستويات المعيشة، وما يقترن بها من استقرار وأمن وطمأنينة وبناء مادي من دون توقف، بل تقدم الى أمام.

ضمن هذا الوصف والسياق، يبرز التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الكثير من بلدان العالم، فهو ثمرة من ثمار التعليم والتعلّم المنظمّ، وهو اجتهاد واع ومتقدم الى أمام من دون تراجع، لا يميل إلاّ إلى الإبداع والابتكار. وفي هذا المجال، تشير تقارير المنظمات الدولية والمنظمات والمؤسسات المتخصصة والمهتمة بالتعليم وتطوراته في بلدان العالم، إلى الدور الهام والكبير للاستثمار البشري والمادي في التعليم وصلته المباشرة وغير الماشرة، بالتنمية البشرية بصفة عامة، وبزيادة معدلات النمو الاقتصادي بصفة خاصة. فقد أشارت دراسات متعدّدة صدرت عن هذه المنظمات، إلى الدور الذي يلعبه التعليم في زيادة معدلات النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة والنامية على السواء، حيث أشارت احدى الدراسات العلمية، إلى أن مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي قد بلغت 14% في بلجيكا، و 25% في كندا، كما أشارت دراسة أخرى، إلى أن 16% من النمو الاقتصادي في الأرجنتين يرجع إلى الإسهام في زيادة كفاءة العمل الناتج عن قوة التعليم ومستوياته المتقدمة، خاصة في مجالات البحث والتطوير، سواء على مستوى الصناعة أو الزراعة أو الاتصالات والتقنية وغيرها من روافد الحياة المادية والاعتبارية [16].

2.3- مفهوم وأبعاد التعليم والتعلّم

ليس خافياً على أحد أن التعليم هو الأداة الفعالة, والمؤثرة في عملية التنمية البشرية والمادية, على حد سواء، ذلك أن العنصر البشري ركيزة التطور والوسيلة والغاية في حركة التقدم والتنمية بكل حلقاتها, بل أصبح تقدم المجتمعات، يقاس ليس بما لديها من موارد, أو ثروات طبيعية فحسب، وإنما بمستواها المعرفي والتقني, وقدرتها على الاستثمار الأمثل للموارد البشرية والمادية، لمقابلة متطلبات الحياة وروافدها المعرفية, والتنموية. كذلك "التعليم هو إحدى أقوى الأدوات التي يُستعان بها في الحد من الفقر وعدم الإنصاف، وهو يُرسي أساساً للنمو الاقتصادي المستدام، في ضوء تحليل البيانات عن مدخلات التعليم وإسهاماته وكفاءته ونواتجه"[17]. وفي ذات الوصف تعدُّ الوثائقُ الدولية أن الدولة هي المسئولة الأولى عن التعليم, وتوفيره في جميع مراحله, ونوعياته لسائر المواطنين والمقيمين في معظم بلدان الكرة

الأرضية, وتقوم بإنشاء المدارس, وتأمين التجهيزات اللازمة, وتوفير الكتب والوسائل التعليمية, وتعد المعلمين, وتتولى تدريبهم, وتأهيلهم, وتقوم بتوظيفهم وتأمين رواتبهم, وتتحمل معاشات تقاعدهم, وتوفد البعثات الداخلية والخارجية, وتنظيم التبادل الثقافي مع البلدان الأخرى, وتقرر المنح المالية التي تعطى للطلاب في كل مرحلة, وكل نوعية من نوعيات التعليم, ويسهم القطاع الخاص أيضا الى جانب القطاع العام، في تقديم الخدمات التعليمية في المدارس, والمعاهد, والجامعات الخاصة، والتي تخضع لمتابعة ومراقبة الجهات المشرفة على التعليم في الدولة, بحيث أخذ التعليم في الاتساع بسرعة عالية لمواجهة النمو الكمي, والتطور النوعي المطلوب للحياة وموجباتها الصحيحة في البناء والتطور الأني واللاحق. لقد جاءت أهمية التعليم والتعلّم من منظور متعدد الأبعاد منها [18]:

أولاً- البعد العلمي

يوفر التعليم الكوادر العلمية القادرة على البحث, والابتكار, والاختراع, والتطوير بما يسهم في إحداث النقلات الحضارية المختلفة, وإحداث التقدم التقني في شتى مجالات الحياة, والتحسين المستمر في وسائل المعيشة.

ثانياً- البعد الاقتصادي

تساهم الموارد البشرية المؤهلة والمدربة في تنفيذ عدة برامج في اطار التنمية الاقتصادية, بما يحقق التقدم للدولة ويوفر احتياجات سكانها من السلع والخدمات, إضافة إلى أن الفرد المؤهل تعليما وتدريبا، يمتلك فرصة أكبر للعمل كمواطن منتج، يحقق قيمة مضافة تسهم في تنشيط الحياة والقطاعات الاقتصادية.

ثالثاً- البعد الاجتماعي

يساعد التعليم في تنمية قدرات الفرد الذهنية, والفكرية, ويكسبه الأنماط والقيم السلوكية المتوازنة, مما يجعله أكثر قدرة على تفهم المشكلات الاجتماعية, وترسيخ الروابط الأسرية, إضافة إلى تأثيره الملموس في شعور الإنسان بالذات.

رابعاً- البعد الثقافي

ينعكس تزايد نسبة المثقفين من الموارد البشرية في التنمية الحضارية للمجتمع, وزيادة معرفة الفرد وتمسكه بما يخص وطنه من العقائد الدينية, والتراث الثقافي, واللغة والأداء، وازدياد درجة الوعي لديه بما يدور حوله.

خامساً- البعد الأمني

تؤدي العناية بتعليم وتدريب الفرد إلى تخفيض نسبة البطالة, والتي تتناقض مع ارتفاع مستوى التعليم والتدريب, مما يسهم في تحقيق الاستقرار الأمني للمجتمع, إضافة إلى أقناع الأفراد أنفسهم بضرورة وجود هذا الاستقرار.

تحت هذا الاطار الفكري والعملي، أصبح التعليم البوابة المفتوحة للتقدم والتنمية البشرية والمادية، وهذا ما يفتح المجال واسعاً أما حركة التجديد والبحث والتطوير والتحسين لدائرة الأساليب أو المداخل الحديثة في التعليم وفروعه المتنوعة في الكيف والكم. وفي أدناه نستعرض أهم هذه الأساليب أو المداخل:

المدخل الأول- الإدارة بالأهداف، إذ يعتمد مدخل الادارة بالأهداف، على التقييم ابتداء من الشخصية, وانتهاء بالأداء, كما أنها تهتم بالتحسين والتطوير المستمر من خلال التركيز على المهارات الفنية, وتبادل المعلومات, ومناقشة الاقتراحات, ومشاطرة المسؤولية والرقابة الذاتية.

المدخل الثاني- إدارة الجودة الشاملة، حيث تتمركز فلسفة وعمل إدارة الجودة الشاملة على تقليل كلف النوعية الرديئة, لأنها الطريق الأمثل في تطوير كل فرد نحو الأفضل, فضلا عن أن لكل فرد له قاعدة تركيز عامه, بحيث يصبح لأفراد بمختلف أعمالهم وقابلتيهم يكونوا قادرين على الاتصال مع هدف المنظمة الكلي. وتعتبر أدارة الجودة الشاملة من خلال ذلك مدخل تطويري تنظيمي متكامل, يتزامن مع استخدام تكنولوجيا متطورة, وتقييم موضوعي للأداء بقصد تطويره, وتحسينه, وتقليل الأخطاء، فالجودة ليس فقط التجاوب مع ما يطمح ويرغب اليه المستفيد أو الزبون فحسب، بل هي الجمال كله في عين الناظر [19].

المدخل الثالث- تمكين العاملين، وكما يتضح انه في العقد الاجتماعي القديم كانت تقدم للعاملين التعويضات الاقتصادية مقابل أن تحصل من العاملين الإنتاجية العالية, والإخلاص في العمل, أما العقد الاجتماعي الجديد فهو المشاركة الايجابية من جانب العاملين, وتحويل السلطة والرقابة والمسؤولية للمستويات الدنيا(التنفيذية), بهدف توفير قدر اكبر من الإدارة الذاتية.

المدخل الرابع- الابتكار والتفكير الإبداعي، ويفسر بأنه مدخل متكامل لتوليد خيارات, أو حلول جديدة أو مختلفة للمشكلة, ويمكن قياس الابتكار بعدد الأفكار الجديدة والجيدة, وإمكانية تطبيقها والاستفادة منها وترجمتها بالنهاية إلى سلع وخدمات, أو طرق عمل, وبناء على ذلك يجب تهيئة مناخ ملائم ومناسب للابتكار, والتفكير الإبداعي, وإعداد العاملين عن طرق الابتكار والتفكير الإبداعي كجلسات خلق الأفكار, والعصف الذهني, وجلسات حل المشكلات.

المدخل الخامس- الإدارة المرئية، ويقصد بالإدارة المرئية هو "أسلوب أو مدخل إداري تطويري بسيط, من خلال إعطاء العاملين الحرية حسب ما يتراءى لهم من اجل الوصول إلى الهدف الأسمى المنشود, وهو تنمية وتطوير الموارد البشرية."

المدخل السادس- تكوين فرق العمل، حيث انتشرت في الوقت الحاضر أساليب كثيرة لتكوين فرق العمل, إذ يزداد استخدامها في المنظمات للقيام بالإعمال باعتبارها طرق فعاله لتطوير برامج التدريب المصممة بصدور خاصة لتسهيل عمل الفرق وتنسيقها, وان الهدف الأساسي هو تعليم المتدربين في إرساء قواعد الثقة بين أعضاء فرق العمل, وتمكينهم من الأداء بكفاءة عالية, بالتالي تعتبر فرق العمل من أهم المداخل لتنمية وتطوير الموارد البشرية.

3.3- تكاملية أنظمة ومعايير التعليم والجودة

1.3.3- تكامل المساقات التعليمية

في الوقت الذي يكون فيه تحديد المساقات والإجراءات الخاصة بقطاعات الصناعة والزراعة، واضحة ومتسلسلة، تجري بموجب الخطط والعمليات الإنتاجية، فإن هذه المساقات تكون في مجال التعليم مبنية على التفاعل وتبادل الخبرات، بين المعلم والمتعلم، والادارة والمجتمع، إذ يصعب تحديد مواصفاتها بالدقة، مثلما يكون التحكم في ادارة المواصفات والعمليات ذات الصلة بالعمل والإنتاج المادي. فالتحكم في مشاعر وعلاقات وسلوكيات البشر أمر يصعب تحقيقه نتيجة لاختلاف الحوافز والأهداف والمهارات وبنية الشخصية لدى كل من الطلاب والمعلمين والإداريين والفنيين وغيرهم من العاملين في المؤسسة التعليمية. ولذلك يكون تطبيق مواصفات معينة للتعليم على مؤسسة تعليمية بحد ذاتها، قد لا ينطبق على أخرى، حيث أن مدخلات التعليم لا تختلف فحسب عن المؤسسات الإنتاجية، بل قد تختلف حتى بين المؤسسات التعليمية ذاتها، فالأطر الاجتماعية لطلاب مدارس الأرياف، تختلف عن المدن، ومدارس المناطق الزراعية تختلف عن الصناعية، وهكذا، لا سيمّا وأن الطلاب هم مدخلات

التعليم، على الرغم من اتخاذ بعض الإجراءات الميدانية لتحسين المدخلات التعليمية، كامتحانات القبول والمقابلات الشخصية واشتراط معدلات معينة من التحصيل الدراسي، إلا أنه يصعب التحكم في مواصفات شخصية الطالب، وطموحاته، وخلفيته الاجتماعية والتربوية، وظروفه المستقبلية التي قد تدعم أو تعوق نجاحه وتقدمه. وبطبيعة الحال فإن صعوبة التحكم في جودة المدخلات تؤدي إلى صعوبة التعامل مع المخرجات. ففي الوقت الذي يمكن فيه تغيير مخرجات الإنتاج المادي بما يناسب متطلبات الزبون أو المستفيد، فإن إرضاء الزبائن أو المستفيدين من التعليم، أمر يصعب تحققه، نتيجة لتعدد المستفيدين واختلاف متطلباتهم [20].

ورغم من أن تطبيق معايير الجودة في التعليم، جرى في الكثير من البلدان والعديد من المؤسسات على المستوى الوطني والاقليمي والدولي، إلا أن تنفيذها بالمؤسسات الخدمية غير الربحية، كمؤسسات التعليم يواجه صعوبات عدة لا تواجهها المؤسسات الإنتاجية والخدمية الأخرى، ومن هذه الصعوبات تحديد أو تعريف الزبون أو المستفيد، خاصة وأن تنفيذ معايير الجودة بأي مؤسسة يستهدف إرضاء الزبون والمستفيد وتحقيق متطلباته. ففي الوقت الذي يتفق فيه الإداريون بالتعليم، على أن الطالب هو الزبون والمستفيد، ترى القيادات الأمامية وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات، بأن الطلاب وأولياء أمورهم والمؤسسات الإنتاجية والخدمية الأخرى، بل والمجتمع بأكمله، هم الزبائن وكل من له علاقة ومصلحة متبادلة، من الذين يجب تحقيق رغباتهم. في حين يرى أولياء الأمور بأن أبنائهم هم الزبائن والمستفيدين، التي ينبغي على المؤسسة التعليمية تحقيق أهدافهم وإشباع حاجاتهم التعليمية والتعلمّية. ونظراً لتباين الآراء هذه ترى معظم مؤسسات التعليم العالي أن الطلاب ليس وحدهم الزبائن لها فحسب، وهذا ما أكدته التعريفات المتعددة لزبون التعليم أو المستفيد، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تعرّف جامعة هارفرد Harford زبونها بأنه أي شخص تقوم بتزويده بمعلومات أو خدمات. وقسمّت جامعة أورجون Oregon زبائنها إلى مجموعتين داخلية من طلاب ومعلمين وإداريين وعاملين وخارجية من أولياء الأمور ومؤسسات سوق العمل، وأما كلية Fox valley technical فقد عرفت زبائنها بأنهم الطلاب الذين يستفيدون من التعليم والخدمات التي تقدمها لهم ومن أرباب العمل كزبائن نهائيين لخريجيها. ويمكن من خلال هذه التعريفات أن نستخلص بأن زبائن مؤسسة التعليم هم الطلاب وأولياء أمورهم والموظفون والعاملون وأعضاء هيئة التدريس بالمؤسسة، وكذلك سوق العمل والمجتمع بأكمله [21].

جدير بالذكر أن قاموس المورد أشار بأن كلمة أو مصطلح المعيار (criterion) يعني لغوياً الميزان أو المحك أو المقياس أو الفيصل. أما في مجال التعليم، فيشير مصطلح المعايير إلى المستويات والمواصفات والخصائص التي تتميز بها مدخلات وعمليات ومخرجات المؤسسة التعليمية، مثل البنية التحتية للمؤسسة والمناهج الدراسية والتجهيزات والوعاء الزمني للمواد الدراسية والخدمات المتبادلة بين المجتمع المحلي والمؤسسة، وكذلك الطلاب، وأعضاء هيئة التدريس والإداريون والمكتبات، والتمويل وحرية المؤسسة في صناعة واتخاذ القرار. أما مصطلح المؤشر(Indicator) فهو الأداة التي تشير إلى حالة معينة مثل اللوحة التي تسجل حركة المصعد أو الدليل الذي يوجّه إلى وجهة ما. وفي مجال التعليم فإن وجود مواصفات معينة لأهداف ومدخلات وعمليات ومخرجات التعليم، تعتبر مؤشرات على مدى توفر مواصفات الجودة بالمؤسسة التعليمية، فالمؤسسة التعليمية الفاعلة هي التي تعمل على تحسين وتوفير مدخلاتها. ومع هذا الاعتراف الواضح، وبالرغم من أن المناهج الدراسية تتشابه محتوياتها بين معظم المؤسسات التعليمية، إلا أن شموليتها وترابطها ووعائها الزمني، وكيفية تدريسها، وعلاقتها بحاجات المتعلم والمجتمع، ومدى الاستفادة منها بعد التخرج، كل ذلك يجعل المؤسسات التعليمية تتباين فيما بينها في مستوى تحقيق أهداف ومعايير التعليم. من هنا فإن البنية التحتية للمؤسسة التعليمية، والتجهيزات المتوفرة ووسائل وتقنيات التدريس، تعتبر أيضاً معايير يمكن تقويمها كمؤشرات لمستوى جودة أداء المؤسسة، وكذلك اليوم الدراسي، وطرائق تقويم مستوى التحصيل العلمي، ومعدلات الأنشطة الذاتية للطلاب، فهي مدخلات وعمليات يمكن أن تكون معايير ومؤشرات على مدى التوفير الصحيح والمتوازن لمعايير التعليم الفعّال. فالتعليم، كما أشرنا آنفاً، هو إحدى أقوى الأدوات التي يُستعان بها في الحد من الفقر وعدم الإنصاف، باعتباره أساساً للنمو الاقتصادي المستدام. وفي هذا المقام، يقوم البنك الدولي بجمع بيانات عن مدخلات التعليم وإسهاماته وكفاءته ونواتجه، كما يقوم معهد اليونسكو الإحصائي بجمع البيانات عن التعليم من إجابات المسؤولين الحكوميين على الاستقصاءات، ومن التقارير المرفوعة من السلطات في مختلف بلدان العالم [22].

2.3.3- الاتصال العضوي بين نظام التعليم وادارة الجودة

بما أن التعليم، نظام متكامل وقابل للتحسين المستمر في مختلف الأوقات، وعلى كل المستويات، وفي كل الحلقات، فإن ادارة الجودة، التي تطبق، أو في طريقها الى التطبيق في نظام التعليم، من المؤكد ان فرصة نجاحها أكثر بكثير من المشروع الآخر، الذي لا يطبق نظام إدارة الجودة الشاملة. وهذه فرضية مؤسّسة على جانبين:

أولهما- تحديد احتياجات ورغبات الزبائن والمستفيدين بالأسواق المستهدفة.

ثانيهما- التهيئة لتحقيق وتغطية الرغبات بكفاءة وفاعلية أكثر مما لدى المنافسين.

وهذا التوجّه المتجسد في الجانبين المذكورين، يفرض على المؤسسة التعليمية أو المشروع التعليمي، لأن يطبّق كلُّ واحد منهما، نظام ومعايير إدارة الجودة الشاملة، وعلى وفق الآتي:

1. تقسيم الزبائن والمستفيدين بحسب احتياجات قطاعات العمل، واحتياجات المستفيدين، على أن يكون عرض المؤسسة للمنتجات التعليمية، وما يرافقها من خدمات، بحسب مقابلة احتياجات القطاعات المعنية والمستفيدين وتطلعاتهم.
2. البحث والاختبار الموضوعي للزبائن والمستفيدين من المتعلمين وللأسواق المستهدفة.
3. التطوير والفاعلية للعروض والبرامج المرتبطة بنظم التعليم، ومعاييره، ذات العلاقة بالإدارة والإنتاج والتسويق، كمفتاح لجذب شرائح المستفيدين عموماً.
4. إن التعليم ينبغي أن يدرك بواسطة المستهلك والمستفيد، فالاتجاه الخاص بالتعليم يجب أن يبدأ باحتياجات المستفيد والمقصود، وينتهي بإدراك المستفيد والمقصود.
5. ينبغي أن ينعكس التعليم في كافة أنشطة المجتمع، وليس فقط في منتجات المؤسسة التعليمية وخدماتها، ومن ثم فان الجودة المطلوبة في التعليم تتجسدُ في كل روافد الحياة.
6. تتطلب الجودة في التعليم التزاماً كاملاً من العاملين، فلا يمكن تقديم جودة عالية في الأداء، ما لم يتم التزامُ جميع العاملين بالمؤسسة التعليمية، بتقديم الجودة العالية، وأن يتم إشارة دافعيتهم وتدريبهم للتعلمّ والتعليم على نظم الجودة والتعامل بمعاييرها غير الساكنة, فالعاملون ينبغي أن يهتموا بإرضاء المجتمع الداخلي، بنفس القدر من الاهتمام بإرضاء المجتمع الخارجي وعموم الناس.
7. تتطلب الجودة في التعليم مشاركين أقوياء، من المؤهلين والمؤمنين بالتعليم واهدافه، فالعمل والتسليم بمنطق الجودة العالية، أمر حتمي لا يتجزأ، لنجاح المؤسسة التعليمية، فهو يتطلب أن يقوم المشاركون في مفاصل التنظيم ومستوياته، بالالتزام والمتابعة المستمرة، لتحسين دائرة التعليم ومؤسساته، بشكل ينبغي أن يلمسه الجميع, وصولاً الى التعليم المستهدف.
8. إن الجودة في التعليم لا تكلف كثيراً، فالاعتقاد الخاطئ بأن تحقيق جودة أفضل سوف يكلف المؤسسة التعليمية أكثر، فإن مثل هذا التصور يجب أن يتغير، فالجودة يمكن

تحسينها من خلال التعلم والتدريب المتواصل لكل العاملين، وإن يتم الأداء بشكل جيد من المرة الأولى.

9. إن التعليم ضروري للمجتمعات والأفراد على حد سواء، ولكنه قد يكون غير كافٍ, من دون تفاعله مع روافد الحياة الأخرى، ولهذا على المؤسسات التعليمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، أن تعتمد على مداخل أكثر ابتكاراً، في النظر المتجدد الى منتجات التعليم وخدماته، من أجل تحسين وتطوير الأداء البشري والمادي.

من هنا، تعتبرُ نقطة البدء عند القيام بعملية التخطيط الاستراتيجي للتعليم، هي في تحديد رسالة المؤسسة التعليمية, والتي من خصائصها البساطة، الوضوح، وعشق التجديد ورفض التقليد، وبعد ذلك تجري ترجمة بيان الرؤية إلى مجموعة من الأهداف الرئيسية للتعليم، قصيرة وطويلة الأجل، ووضع مؤشرات ومعايير لقياس مستوى الأداء المؤسسي, بعد ذلك يجري الانتشار التنازلي لتلك المعلومات إلى جميع العاملين في كل المستويات داخل المؤسسة التعليمية. ويعتبر بيان الرؤية أول خطوة إيجابية في مسارات التعليم التقليدي أو التعليم في أوساط اللاجئين وظرفهم الموصوف، باعتبار هذه الخطوة نهجاً استراتيجياً strategic approach يهدف إلى التحسين المستمر والأداء المتكامل لكل مفصل وعمل تنظيمي داخل المؤسسة التعليمية. وفي هذا الاطار نجحت الكثير من المؤسسات التعليمية، في تنمية قدراتها على التبنيّ المتجدد والتطبيق المبدع لمعايير جودة التعليم، لكونها تعاملت واعتمدت البني التحتية الصحيحة والمتكاملة، في حلقاتها البشرية والتنظيمية والفنية والمادية والمعلوماتية، والتي تتجسد في العناصر الحاكمة المبينة أدناه، والموضحة أيضاً في الشكل رقم (1).

1. القيادة الادارية المقتدرة في مفاصل العمل التنظيمي.
2. التخطيط الاستراتيجي للتعليم ومعاييره العلمية والتربوية.
3. الإدارة العلمية والتقنية لقاعدة البيانات والمعلومات ذات الشأن بالتعليم.
4. التجديد والتحسين المستمر في العمليات الإدارية والفنية.
5. الإدارة المحفزة للقدرات البشرية داخل بيئة العمل وفي محيطها الخارجي.
6. تقييم الأداء الحالي للمؤسسة التعليمية، ومقارنة الأداء الفعلي بالمعايير والأهداف الموضوعة مسبقا.
7. اتخاذ الإجراءات التصحيحية المناسبة، ومعالجة المشكلات، في حالة وجود انحرافات أو اختناقات في العمل التربوي والتعليمي.

8. إيجاد وخلق أهداف دائمة ومتجددة تتمثل في تبنيّ فلسفة التطوير والتحسين المستمر لمعايير التعليم ومستوياته.
9. التركيز على التطوير، وتبنيّ أساليب حديثة وغير نمطية في الإشراف والمتابعة والاعتمادية المتبادلة بين الأقسام والمناهج.
10. تأسيس برامج مؤثرة وفاعلة، للتعليم وتكنولوجيا الأداء البشري، والتدريب والتطوير الشامل للعالمين، والتطوير الذاتي لكل فرد في المؤسسة التعليمية.
11. النظر إلى التعليم ودائرة تحسين معاييره، على أنها أداة انسانية وأخلاقية فحسب، مع الأخذ بالحسبان تجارب الدول المتقدمة في التعليم والاستفادة منها.

الشكل رقم (1) يوضح بعض العناصر الحاكمة في التبني المتجدد لمعايير ادارة التعليم*

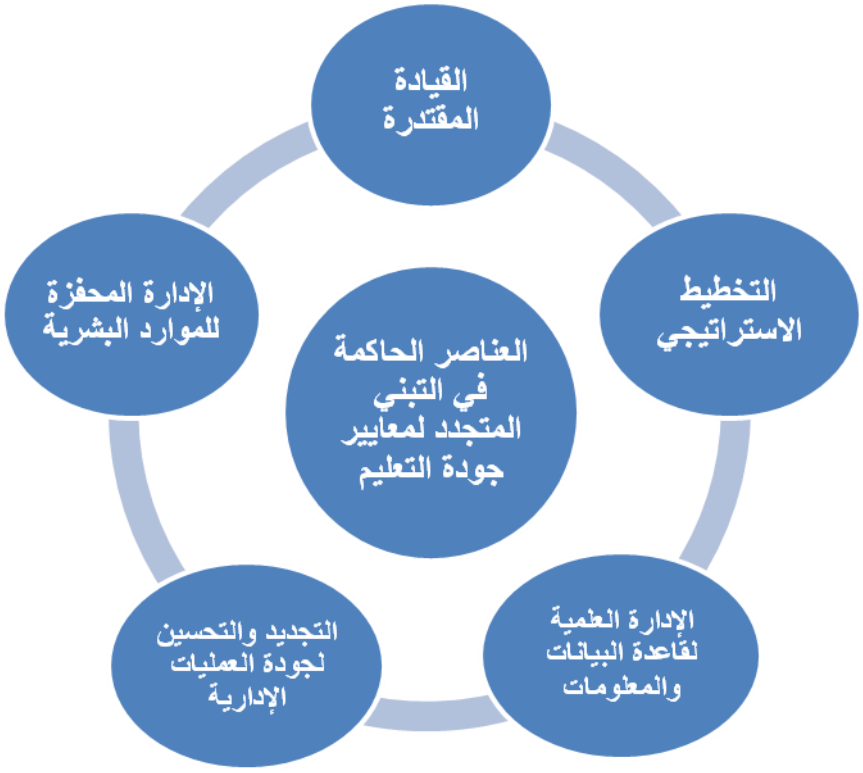

*الشكل من اعداد الباحث.

بيد أن ما ينبغي التأكيد عليه في هذه الدراسة، أن الطالب هو الوسيلة والغاية التي من ورائها وُجدت المؤسساتُ التعليمية، مما يفرض التفكير والايمان بالعناصر والمفاهيم الآتية:

1. إن جوهر ومحتوى التعليم والتعلّم وفلسفتهما الخاصة والعامة، هو الانسان، من صغره حتى كبره في السن، وعليه فإن الطالب هو أهم المحاور الرئيسية للعملية التعليمية،

ويكون مؤشراً إيجابياً إذا عملت المؤسسة على انتقائه واعداده الاعداد الصحيح من البداية، من خلال سياسات القبول والمتابعة والتواصل عبر مراحل العملية التعليمية ومستوياتها، التي تعتبر الخطوة الأولى نحو كسب الحاضر وضمان المستقبل.

2. إن تفاعل الطلاب مع أساتذتهم ومع الإداريين والعاملين بالمؤسسة التعليمية، بروح الأخذ والعطاء، والتفاهم والتعاون والإيجابية، يعتبر خطوة مهمة نحو تحقيق جودة الأداء البشري والمادي، ليس فقط على صعيد التعليم فحسب، وإنما على صعيد روافد الحياة، الانسانية والمادية.
3. تعتبر نسبة الطلاب إلى أعضاء هيئة التدريس عاملاً مهماً في تحقيق الجودة في التعليم، حيث يؤدي الأستاذ عمله بأعلى كفاية وأقل تكلفة.
4. يعتبر متوسط تكلفة الطالب مؤشرا لجودة أداء المؤسسة التعليمية، فإذا تم صرف المبالغ المالية بحكمة وتخطيط وعلمية وأمانة وشفافية، فستكون المؤسسة التعليمية، ذات الكلفة العالية أكثر جودة من غيرها من ذوي الكلفة المتدنية، غير أن الكلفة وحدها لا يعتمد عليها كمؤشر لجودة التعليم، فقد تصرف الأموال هدراً دون مردودات إيجابية.
5. الخدمات المقدمة للطلاب، يمكن أن تكون مؤشراً إيجابياً لمستوى جودة المؤسسة، فكلما كانت الخدمات الصحية والإقامة والمساعدات المالية وخدمات التوجيه والإرشاد والمواصلات والاتصالات، متوفرة للطلاب والعاملين في المؤسسة التعليمية، كل ما أتصف أداء المؤسسة التعليمية بالجودة.
6. إن نسبة الخريجين من الطلاب الجامعيين والملتحقين منهم ببرامج الدراسات العليا، تعتبر مؤشراً إيجابياً نحو التوسع بالتعليم ومستوياته وتخصصاته، والتحسين والتحقيق لمعايير الجودة.
7. إن ملائمة تخصصات الخريجين مع متطلبات سوق العمل، من حيث الوقت والعدد والكفاءة، يعتبر مؤشراً رئيسياً لجودة المؤسسة التعليمية، بل يعتبر مستوى أداء الخريج (الناتج النهائي) لجميع أنشطة المؤسسة التعليمية، عنصراً حاكماً على جودة التعليم.
8. تفعيل المهارات البشرية في قطاعات العمل وسوق العمل، ونشر وإشاعة القيم الاجتماعية والاقتصادية والإيجابية، وإفراز أفضل العناصر القادرة على القيادة والإدارة والتخطيط التشغيلي والاستراتيجي.

إن النقاط أو المزايا، تصبح بالطبع أكثر قدرة على تنمية القدرات البشرية، وبالتالي التنمية المستدامة ليس فقط في التعليم وقطاعاته وفروعه فحسب، وإنما في كل ما هو مرتبط بالتطور

الانساني والمادي، كلما وجد الارتباط بين التعليم من ناحية، وحاجات المجتمع من ناحية أخرى، في اطار التجسيد الخلاق لمبدأ "التحول من ادارة الواقع الى ادارة المتوقع". والجدول رقم (2) يبين لنا ماهية الصورة التي تتشابك بها القطاعات وتتباين فيما بينها في الوقت نفسه، حيث يوضح كيفية أداء الأعمال وجودة الأنشطة في كل من التعليم والصناعة، على سبيل المثال، إذ لكل قطاع من القطاعين المذكورين، اتجاهاته وأهدافه البارزة، فالتعليم يهدف إلى خلق إنسان مقتدر يتميز بخصائص المعرفة والبراعة والحكمة والشخصية، أما الصناعة فهي طريق للبناء والتقدم المادي، تتضح فيه الأهداف والأغراض المادية والمعايير والمواصفات المحددة والمتطورة.

الجدول رقم (2) يبين كيفية أداء الأعمال وجودة الأنشطة في الصناعة والتعليم*

أداء الأعمال وجودة الأنشطة في الصناعة	أداء الأعمال وجودة الأنشطة في التعليم
أولا ـ الأهداف ✓ الأهداف مادية، وتعتمد على كمية ونوع المنتجات. ✓ الأهداف مالية، وتعتمد على الربح كمقياس.	✓ التعليم يهدف إلى خلق إنسان يتميز بخصائص المعرفة والبراعة والحكمة والشخصية. ✓ التعليم يهدف الى تنمية بشرية للغد القريب والبعيد، كمقياس للتطور والبناء المتوازن.
ثانيا ـ العمليات ✓ من السهل تحديد العمليات الصناعية. ✓ من السهل التحكم في مواصفات العملية التصنيعية والانتاجية للسلع بكل أشكالها وأنواعها وحجومها.	✓ العملية تفاعلية تتم بين المعلم والمتعلم. ✓ تعتمد على علاقات بين البشر، لهم سلوكيات وردود فعل تختلف باختلاف الحوافز، والأهداف، والمشاعر، لكل واحد منهم، وعليه يصعب تحديد مواصفات معينة في العملية التعليمية.
ثالثا ـ المدخلات ✓ يمكن التحكم في المدخلات. ✓ يمكن تحديد النوعية والكمية المطلوبة.	✓ يصعب في التعليم، لأن الطلبة بشر يختلف أداؤهم من انسان الى آخر. ✓ صعوبة التحكم في المدخلات تحتم صعوبة التحكم في جودة المخرجات.

رابعا ـ المخرجات ✓ يسهل التحكم في المخرجات التي تؤدي إلى إرضاء الزبون.	✓ يوجد عدة مستفيدين، ومن الصعب تحديد مستوى جودة المخرجات، حيث إن المستفيد الأول هم الطلبة أنفسهم، وهم مشاركون في عملية التعلم.

*الجدول من اعداد الباحث.

4.3- مجالات الاستثمار في التعليم

من نافلة القول: إن الاستثمار في التعليم لم يعد نفقات ضائعة أو إنفاقاً استهلاكياً، بقدر ما هو فرصة استثمارية مستقبلية في لحظة الحاضر، وكما يقول "شولتز" سيكون خطأ جسيماً أن نشبّه الإنفاق على التعليم بالاستهلاك الجاري، أي الإنفاق الاجتماعي[23]. لقد أضحى هذا الاستثمار لأهميته، استثماراً في رأس المال البشري، لا تقل أهميته عن الاستثمار في الآلات والأجهزة (كرأس مال مادي)، فالتعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص، يعتبر من الأدوات الأساسية التي تسهم في تكوين المجتمع وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل، إنه السبيل الأكيد لإعداد القوى البشرية المتخصّصة التي تخطّط للنموّ المادي للمجتمع وتسهر على تنفيذه، على اعتبار أن التعليم، هو الذي يعدّ الباحثين لاستقرار المستقبل وتحديد ملامحه، كما أنه الدافع للمواهب الفكرية والطاقات الخلاقة المبدعة في المجالات كافة. ولهذا فإن الاستثمار في التعليم له تكلفته المحسوبة، ولكن له عوائده الاقتصادية والاجتماعية كاستثمارات منتجة وبذي جدوى مستقبلية في لحظة الحاضر، بل إن التعليم وحافات العلم الأمامية، ما هما إلا مكوّنان رئيسيان للرأس المال البشري وفي الوقت ذاته إنهما الدعامة الأساسية الحاكمة في روافد الحياة، وعلى وفق المؤشرات الآتية:

المؤشر الأول- الاستثمار والتكلفة في التعليم

لما كانت الموارد المتاحة في المجتمع، وفي مقدمتها الموارد الاقتصادية، تتّسم بالندرة النسبية، فإن تفضيل استخدامها في وجه معيّن، إنما يعني التضحية باستخدامها في وجوه أخرى، وهكذا تتمثّل التكلفة الحقيقية لأيّ تصرف اقتصادي في ما ضحّى به الفرد أو المجتمع، من أمور ومنافع أخرى، باختياره القيام بهذا التصرف. وهكذا يعرّف البعض بأن النفقات في التعليم ليست نفقات ضائعة، وإنما هي نفقات استثمارية، لإنتاج منتج معيّن مقوّم في شكل أفضل المنتجات المستقبلية، في لحظة الحاضر [24]. وهكذا فإن قيمة الوقت لأحد الطلاب يمكن قياسها في

صورة الدخل الذي فقده، نتيجة عدم إسهامه في الإنتاج الزراعي مثلاً، خلال سنوات دراسته. كما أن تكلفة الاستثمار في التعليم الفني العالي يمكن أن تتمثل في التضحية بآلاف الأماكن التي كان يمكن إيجادها في التعليم الابتدائي. لذلك، وعلى الرغم من الصعوبات المتعلقة بتحديد تكلفة التعليم: التكلفة المباشرة (مصروفات الدراسة، إنشاء المباني... إلخ)، والتكلفة غير المباشرة (تكلفة الخيار)، إلا أن الدراسات كافة المرتكزة على هذه الطريقة، قد انتهت إلى نتائج عدّة أهمها: أن العائد الاقتصادي من الاستثمارات السابقة في التعليم كان أعلى من هذا العائد الذي تمّ الحصول عليه في مجالات الاستثمارات الأخرى، مثل الصناعة. كما أكّدت دراسات أخرى وجود علاقة وثيقة بين ارتفاع الدخول أو الأجور بين الاستثمارات التعليمية ومستوى التعليم المتحقق للفرد. وفي هذا المجال أشارت إحدى الدراسات عن رأس المال البشري في فرنسا، إلى أن معدل العائد المتوسط بلغ 11% للاستثمارات المدرسية، كما أن 38% من الاختلاف في الأجور، يمكن إرجاعها إلى هذه الاستثمارات، كما وجد أكثر من ثلث الاختلاف في الأجور يمكن إرجاعها إلى هذه الاستثمارات، كما وجد أن أكثر من ثلث الاختلاف بين الأجور يرجع إلى الاستثمارات المدرسية والمبنية معاً.

المؤشر الثاني- تحليل (التكلفة ـ العائد) في مجال الاستثمار في التعليم

يشكل معدل العائد الخاص مقياساً للعلاقة بين التكاليف المدفوعة والمزايا المتحققة من التعليم بالنسبة إلى الفرد، وكذلك فإن معدل العائد الاجتماعي يعتبر مقياساً للعلاقة بين كلّ التكاليف واجبة الدفع والمزايا التي تتحقق من التعليم بالنسبة للمجتمع ككلّ، ومن ثم فإن تحليل هذه العلاقة (التكلفة ـ العائد أو المزايا) يعتبر عنصراً هاماً في تقدير الاستثمار، لأنه يساعد المسؤولين في اختيار أفضل الطرق لتعبئة الموارد المحدودة من أجل الحصول على أقصى المزايا الممكنة. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، فإن تكلفة التعليم (كاستثمار إنتاجي) يجب أن تقاس بتكليف الخيار الصحيح، قبل أن تقاس على نحو بسيط بالنفقات النقدية التي يستلزمها، وقد وجدت صيغ رياضية بسيطة تمّ استخدامها في قياس التكلفة النقدية للتعليم بمراحله المختلفة. وقد أشارت دراسة مهمّة للبنك الدولي إلى وجود علاقة وثيقة بين ارتفاع نسبة الإنفاق على التعليم في الناتج القومي الإجمالي من ناحية، وبين قيمة متوسط دخل الفرد من ناحية أخرى، حيث أكدت هذه الدراسة العلاقة الطردية بين المعدلين. ولا تقتصر مزايا التعليم على تحسين دخول المتعلمين بعد التخرج فقط (المزايا المباشرة)، ولكن التعليم يقدّم مجموعة أخرى من المزايا غير المباشرة مثل انخفاض معدلات الإجرام في المجتمع، المشاركة الاجتماعية سياسياً واقتصادياً، الترابط الاجتماعي، نمو الاختراعات التكنولوجية والمشاركة في التطورات التقنية والمعلوماتية... إلخ.

المؤشر الثالث- العلاقة بين التعليم والإنتاجية

معلوم أن الإنتاجية هي كمية أو مقدار الإنتاج الذي تحقّقه الوحدة الواحدة من عوامل الإنتاج. وتعتبر إنتاجية العمل هي الأكثر شيوعاً وأهمية، ويمكن قياسها على المستوى القومي بقسمة الإنتاج القومي على عدد القوة البشرية الكاملة في المجتمع خلال مدّة محددة. ويعتبر التعليم والتدريب من أهم العناصر المؤثرة في إنتاجية العمل، سواء الكلية أو الجزئية. ويؤكد الباحث أن الوسيلة التي يمكن بها زيادة الإنتاجية تتمثل دائماً في تطبيق ثمار التقدم العلمي والتقني ومعايير الجودة، الذي ينعكس لاحقاً على التقدّم الاقتصادي برمته، وإلى مزيد من التطوّر الاجتماعي، إذ إن الترابط وثيق جداً بين المجالات العلمية والفنّية من ناحية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية من ناحية أخرى. وفي هذا المجال يمكن على سبيل المثال التوقّف عند دراسةٍ للبنك الدولي أشارت إلى أن إنتاجية المزارع الذي تابع الدراسة في التعليم الابتدائي لمدة أربعة أعوام، كانت أكثر ارتفاعاً في المتوسط بنسبة 3.7% من ذلك الذي لم يذهب إلى المدرسة (المزارع الأمي)، وقد ترتّب عن ذلك أن الإنتاج الزراعي للمزارع الأول يزيد سنوياً بنسبة 13.2% على إنتاج المزارع الثاني (الأمي) [25].

من ذلك كله، نرى أن التعليم أداة لا غنى عنها في صنع المستقبل الذي ترجوه أية أمة، والمؤسسة التعليمية، مدرسة أو معهد أو جامعة، مجرد وسيلة مرنة، متطورة الأهداف، متحركة الوسائل، لكون التعليم والتنمية البشرية، هما من أجل الإنسان، ويقوم بهما الإنسان، فهو هدف التنمية وهو وسيلتها. لذلك فالتعليم وحتى التربية، هما وسيلة لتنمية القوى البشرية التي تصنع التنمية المستقبلية وتحدد معالمها، بل إن أهم معالم التنمية هو تنمية القوى البشرية. ولكن هناك من يعتقد أن مفهوم التنمية أكثر ارتباطاً بالتعليم وليس بالتربية. فالتربية مفهوم أوسع وعام وشامل، إذ تقوم بتنمية الفرد من جميع جوانبه الروحية والخلقية وبشكل سليم، ليكون عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه، وهي أشمل بكثير من التعليم إذ يشمل الأسرة والثقافة والإعلام والجمعيات ومؤسسات العبادة، بينما التعليم هو عملية مقصودة تؤدي بوساطة مؤسسات أنشئت خصيصاً لهذا الغرض، ويقوم بها أفراد اختيروا ودرّبوا خصيصاً للقيام بهذه العملية، بهدف الحصول على معرفة واكتساب مهارة أو لتنمية قدرات أو طاقات خاصة، وبالتالي فهو أكثر تحديداً وارتباطاً بالتنمية. وعندما تشير الكتابات إلى التنمية والتربية فإنها تقصد بذلك التعليم، لأن التنمية تقاس بمؤشرات كمية، وهذا الأمر يصعب قياسه في التربية، بينما هو ممكن في التعليم. وينظر إلى التعليم في كثير من الدراسات، على أنه [26]:

1. يرفع الإنتاجية والانتاج.
2. يرفع الاستثمار والادخار.
3. يساعد على التطور التقني والتكنولوجي.
4. يسهم بالتأثير على المهارات الإدراكية.
5. يسهم بالتأثير على الطموح الشخصي والتنافس والإبداع.
6. يكمل أدوار المدخلات الأخرى في عملية الإنتاج.
7. يشجع إسهام المرأة في النشاط الاقتصادي (العمل بأجر).
8. ذو علاقة مع توقع الحياة والتنبؤ بالمستقبل.
9. يرفع تعليم الأبوين، ونوعية الطفل وصحته ومكانته اللاحقة.
10. يؤثر على قرارات الهجرة، وما يرافقها من ظروف ومشكلات وصعوبات.
11. يساعد على تحسين وتوزيع الدخل وتكافؤ الفرص.
12. يضمن التشغيل في القطاعات الاقتصادية سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص، وانتزاع المواقع والمستويات القيادية الادارية باستحقاق.

5.3- تجارب عالمية في التعليم والتعلّم

نظام التعليم في ألمانيا

بدءا نقول: إن التعليم في ألمانيا إلزامي من سن السادسة وحتى الثامنة عشرة، أي لمدة 12 عاماً، إذ ينبغي على التلاميذ خلال هذه المدة قضاء تسع (وفي بعض الولايات عشر سنوات دراسية) بدوام كامل لأداء إلزامية التعليم العام، وبعد ذلك سنتين دراسيتين في المدرسة المهنية بدوام جزئي لأداء إلزامية التعليم المهني .والتعليم مجاني في جميع المدارس الحكومية. كما أن بعض وسائل التعليم، وعلى رأسها الكتب المدرسية، تقدم للتلاميذ مجاناً أيضاً، أو تعار لهم دون مقابل .وإذا ما أراد التلميذ الاحتفاظ بوسائل التعليم التي يحصل عليها يتوجب عليه دفع جزء من ثمنها يتناسب طرداً مع دخل ذويه. ويكفل القانون الأساسي حق فتح المدارس وإدارتها من قبل أصحابها. لكن المدارس الخاصة تحتاج إلى تراخيص من الدولة إذا كانت تصلح بديلاً للمدارس الحكومية، أي تؤدي وظيفة مماثلة، إلا أنها ولكي تتمتع بصلاحية إجراء الاختبارات ومنح الشهادات حسب التعليمات النافذة في المدارس الحكومية، تحتاج إلى اعتراف السلطات التعليمية بها. وتعتبر المدارس التي ترعاها هيئات أهلية، إغناء للحياة التعليمية، وتتلقى دعماً مالياً من

الولايات في المانيا، حيث يبلغ عدد هذه المدارس (2082) مدرسة، ويتزايد سنوياً باطراد عدد التلاميذ الذين يلتحقون بها.

كذلك توجد دور لرياض الأطفال في ألمانيا, ولكن بعضها قد يدخل ضمن النظام التعليمي في قليل من الولايات أو خارج النظام التعليمي في معظم الولايات الألمانية, ويقوم على إنشاء هذا الدور مؤسسات وهيئات حكومية خاصة أو دينية. وتعتبر المدارس الأولية في كل الولايات الألمانية هي بداية للنظام التعليمي الرسمي، ويطلق على الصفوف الأربعة الأولى بالمدرسة الأساسية، وتمتد الدراسة بها إلى الصف السادس في بعض الولايات. ويدرس التلاميذ ثلاث سنوات أو أربع سنوات لإكمال مرحلة التعليم الإجباري. ثم بعد ذلك توجد المدارس المتوسطة في معظم الولايات، وتقبل التلاميذ بعد اتمام الدراسة الإجبارية، سواء لمستوى الصف الرابع أو السادس، وتستمر الدراسة بها حتى نهاية الصف العاشر، ويوجد تشابه بين المدرسة والمدرسة الثانوية الدنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، والمدرسة الثانوية الحديثة في إنجلترا. كما توجد المدرسة الثانوية الأكاديمية، وتمتد الدراسة بها من سبع سنوات إلى تسع سنوات، ويتم القبول بها بعد اجتياز الطلاب لبعض الاختبارات العلمية والثقافية واختبارات القدرات. وهناك مدارس اخرى من التعليم الثانوي يقبل بها الطلاب بعد اتمام الدراسة بالصف الرابع أو السادس في المناطق الريفية، وتوجد المدارس الثانوية المتخصصة للبنات، مثل الاقتصاد المنزلي والتدريس به لمدة ثلاث سنوات, وتقدم برامج علمية وأكاديمية إلى جانب الاقتصاد المنزلي. وتوجد مدارس خاصة بالاقتصاد وإدارة الاعمال, ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، وتركز الدراسة على نظم الاقتصاد وإدارة الاعمال، وقد تؤهل لمدارس عليا في هذا الاطار. كما توجد المدارس الفنية، وتقبل التلاميذ بعد فترة التعليم الإجباري أو قضاء التعليم في مراكز التلمذة الصناعية, وهناك المدارس الحرفية التي يقضي بها الطلاب ثلاث سنوات أو أربع سنوات [27].

أما استراتيجيات التكامل بين التعليم الثانوي العام والفني في ألمانيا، فان اختيارات التلاميذ لمساراتهم التعلمية المستقبلية تبدأ في مرحلة مبكرة من حياتهم الدراسية, فبعد قضاء أربع سنوات في المرحلة الابتدائية, يتم توجيه التلاميذ وتعريفهم بمختلف أنواع التعليم خلال السنتين الدراسيتين الخامسة والسادسة, وسواء كان ذلك في المدارس الأساسية ذات الخمس سنوات أو المتوسطة ذات الست سنوات, وتمهيدا لاختيار المسار الاقتصادي بعد السنة السادسة وبداية من السابعة. ويعتمد نظام التعليم في ألمانيا على مبدأ التكامل ما بين التعليم العام والفني،

وبين الدراسة النظرية والتدريب العملي. مع الاشارة الى ان قنوات التعليم بينهما مفتوحة، وفرص استكمال الدراسة العالية (ما بعد الثانوي) متاحة أمام خريجي التعليم الثانوي الفني. هذا ويظهر التكامل في المناهج الدراسية من خلال الآتي:

أولاً- التنوع الواسع في التعليم الثانوي, اتاحه المجال لدراسة مود اختيارية فضلا عن المواد الالزامية.

ثانياً- تواصل التعليم الثانوي العام بمختلف أنواعه سواء في المدارس الثانوية التي تدرس العلوم الإنسانية, والمدارس الثانوية التي تدرس الرياضيات والعلوم, والمدارس الشاملة بنوعيها التعاونية والتكاملية, وهذه المدارس جميعا ذات مناهج دراسبة تزود التلاميذ بأساسيات المعرفة والعلوم والثقافة العامة.

ثالثاً- تتضمن مناهج التعليم الثانوي الفني علوماً نظرية, وتطبيقات عملية تؤهل الخريجين لمواصلة دراستهم العالية أو الالتحاق بسوق العمل.

من جهة أخرى، توجد نظم للتعليم المتكامل في ألمانيا منها [28]:

1. نظام التعليم المزدوج وتتجسد فيه مقومات التعليم الثانوي العام والفني متضمنة مناهجه مواد عامة (رياضيات ولغات وعلوم اجتماعية واقتصاد) ومواد مهنية فضلا عن المواد الاختيارية.
2. توجد مدارس تكميلية مدتها سنة واحدة أو سنتان وتخصص لتأهيل خريجي المدارس الأساسية والمدارس المتوسطة لمهن معينة, وفضلا عن مجالات الالتحاق بالجامعات أو المعاهد العليا بعد ممارسة المهن لفترة محددة.
3. نظام الثانوية المتخصصة وهي أحدث نوع من مدارس التعليم المهني والفني وتبل خريجي المرحلة المتوسطة الذين انهو عشر سنوات دراسية, ويتم تأهيلهم خلال سنتين للالتحاق بمدارس الهندسة العليا, ويوجد في مناهج السنة الأولي مواد علمية وتخصصية وتدريب في مجال التخصص في المدارس والمصانع, ثم تخصص السنة الثانية للعلوم الأساسية التخصصية, وتضم هذه المدارس تخصصات هندسة وتكنولوجيا واقتصاد وزراعة. أما سياسات التعليم الثانوي فهي مرتبطة باحتياجات سوق العمل في ألمانيا، حيث تهتم مؤسسات العمل والإنتاج بتطوير التعليم الثانوي وخاصة الفني من خلال:

- ✓ تحمل مسؤولية الجانب العلمي في قطاعات العمل والإنتاج ذات العلاقة.
- ✓ إتاحة فرصة التدريب الفني في الشركات بورش تدربية خاصة يشرف عليها مديرون متخصصون علميا وفنيا.
- ✓ المساهمة في رسم سياسة التعليم الفني وتخطيط برامج وتنفذيها.
- ✓ توفير المؤشرات التي تحدد العلاقة الكمية بين التعليم الثانوي واحتياجات سوق العمل.
- ✓ تقوم مؤسسات العمل بتمويل التدريب من خلال صندوق التمويل الذي تتعاون فيه مؤسسات العمل والإنتاج.

وفي السياق ذاته، يجري ربط التعليم الثانوي العام والفني بسوق العمل، من خلال نظام التعليم المزدوج, فهو أحد البرامج التي تحقق الارتباط العضوي بين التعليم وسوق العمل, حيث يتم التعليم والتدريب في النظام الثنائي من خلال التدريب الميداني لمدة من 3 – 4 ايام في الاسبوع, ويقضي الطالب يوما واحدا أو يومين في المدرسة, وهذا التعليم مدته ثلاث سنوات, ويشارك سوق العمل في تخطيط هذا التعليم وتنفيذه, ويلتحق به حوالي ثلثي التلاميذ من المدارس الأساسية والمتوسطة والثانوية العامة, وبعد انتهاء مرحلة التعليم الإلزامي (ملايقل عن تسع سنوات دراسة) شرطا أساسيا للالتحاق بهذا النظام. والتعليم الثانوي عامة والفني خاصة في ألمانيا يتميز بشدة ارتباطه باحتياجات سوق العمل وتحديد برامجه وتخصصاته بالبنية الاقتصادية المحلية سواء من خلال التدريب وسوق العمل أو المنطقة الجغرافية ونوعيات البرامج والتخصصات المطلوبة بها, ومن أهم المدارس الثانوية المرتبطة بسوق العمل [29]:

أولاً- المدرسة المهنية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات بعد التعليم الإلزامي, وتشمل الدراسة برامج داخلية وبرامج في مواقع العمل والإنتاج.

ثانياً- المدرسة المهنية العليا وتضمن برامجها 50% دراسة ورش بالمدرسة, و50 % في المصانع والمعامل.

ثالثاً- المدرسة الثانوية الفنية ومدتها ثلاث سنوات وتضم الفوف 11, 12, 13 وبها تخصصات الهندسة والزراعة والاقتصاد المنزلي وغيرها, وتركز علي المعرفة العلمية والتخصصية ويمكن لخرجيها متابعة الدراسة الجامعية بعدها.

رابعاً- المدرسة العالية المتخصصة ويقبل بها منت اجتاز المرحلة المتوسطة (عشر سنوات) ومدة الدراسة بها سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات, وتختص هذه المدرسة بإعداد الفنين من خريجي الجامعات والمدارس العليا.

الفصل الرابع

دراسة حالة التعليم والتعلمّ في أوساط اللاجئين

1.4- تمهيد

في العقد الأخير من القرن العشرين تنامى الوعي بقيمة الإنسان هدفاً ووسيلة في منظومة التنمية، وبناء على ذلك كثرت الدراسات والبحوث والمؤتمرات التي تناولت التعليم ودوره في التنمية البشرية، وتحليل مكوناتهما وأبعادهما، كإشباع الحاجات الأساسية، والتنمية الاجتماعية، وتكوين رأس المال البشري، أو رفع مستوى المعيشة أو تحسين نوعية الحياة. فالتنمية البشرية ما هي إلا زيادة عمليات المعرفة والمهارات والقدرات للقوى العاملة القادرة على العمل في جميع المجالات، والتي يتم انتقاؤها واختيارها بغية رفع مستوى الكفاءة الإنتاجية لأقصى حد ممكن. ولا شك في أن التعليم والتعلمّ يتناولان، كما أشرنا في الفصل الثالث، الاهتمام بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل الحياة لتنمية قدرات الإنسان، طاقاته البدنية، العقلية، النفسية، الاجتماعية، الروحية والمادية. في حين يلاحظ أن التنمية البشرية عملية تتصل باستثمار الموارد والمدخلات والأنشطة الاقتصادية التي تولد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات المادية عن طريق الاهتمام بتطوير الهياكل والبنى المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس.

2.4- نشأة قضية اللجوء واللاجئين

يُعتبر منح حق اللجوء للأشخاص الفارين من ظروف وأحوال الحروب والفتن والاضطهاد، في بلدان أجنبية، من أقدم السمات المميزة للحضارة. فقد تمّ العثور على نصوص تدل على اللجوء، مكتوبة منذ 3,500 سنة، وذلك أثناء حقبة ازدهار أولى الإمبراطوريات الكبرى في الشرق الأوسط، مثل الحيثيين والبابليين والآشوريين والمصريين القدماء. وبعد أكثر من ثلاثة آلاف سنة، باتت حماية اللاجئين تشكل الولاية الأساسية للمفوضية السامية للأمم المتحدة للاجئين، والتي أنشئت بهدف رعاية اللاجئين، تحديداً، أولئك الذين كانوا ينتظرون العودة إلى ديارهم في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وتوضح اتفاقية العام 1951 الخاصة

بوضع اللاجئين، والتي أدت إلى إنشاء المفوضية، أن اللاجئ هو كل من وجد "بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية، خارج البلاد التي يحمل جنسيتها، ولا يستطيع أو لا يرغب في حماية ذلك البلد بسبب هذا الخوف." ومنذ ذلك الحين، قدمت المفوضية الحماية والمساعدة لعشرات الملايين من اللاجئين، ووجدت الحلول الدائمة للعديد منهم. وقد ازدادت نسبة تعقيد أنماط الهجرة العالمية في عصرنا الحديث، فلم تعد تنطوي فقط على اللاجئين، وإنما أيضاً على الملايين من المهاجرين لأسباب اقتصادية. غير أن ثمة اختلافاً جوهرياً بين اللاجئين والمهاجرين، وإن كانوا يعتمدون في الكثير من الأحيان وسائل السفر نفسها، ولا بد بالتالي من معاملتهم بشكل مختلف بموجب القانون الدولي الحديث.

اللاجئون هم الأشخاص الذين يُعترف بهم لاجئين، بموجب الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لعام 1951 أو بروتوكولها لعام 1967، واتفاقية عام 1969 التي تنظم الجوانب المحددة لمشاكل اللاجئين في أفريقيا، الصادرة عن منظمة الوحدة الأفريقية، وهم أيضاً الأشخاص المعترف بهم لاجئين وفقاً للنظام الأساسي لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، والأشخاص الذين مُنِحوا مساعدات إنسانية مثل اللاجئين، وكذلك الأشخاص الذين تتاح لهم حماية مؤقتة. ويتم استثناء طالبي اللجوء، وهم أولئك الذين تقدموا للحصول على طلب اللجوء أو التمتع بوضع لاجئ والذين لم يحصلوا بعد على قرار بذلك، أو الذين سجلوا أنفسهم كطالبي لجوء. واللاجئون الفلسطينيون (وذريتهم) هم أولئك الأشخاص الذين كانوا يعيشون في فلسطين بين يونيو/ حزيران 1946 ومايو/ أيار 1948 وفقدوا بيوتهم وسبل عيشهم نتيجة للاحتلال الصهيوني لفلسطين عام 1948. فبلد اللجوء هو البلد الذي تقدمَّ إليه اللاجئ بطلب اللجوء وحصل عليه [30].

في حين يختار المهاجرون، لا سيما المهاجرون الاقتصاديون، مغادرة ديارهم من أجل تحسين الآفاق المستقبلية لأنفسهم وأسرهم، أما اللاجئون، فيضطرون للمغادرة لإنقاذ حياتهم أو الحفاظ على حريتهم، فهم لا يتمتعون بحماية دولتهم، لا بل غالباً ما تكون حكومتهم هي مصدر تهديدهم بالاضطهاد والقتل أو التهديد بالقتل، كما هو الوصف لحال العراقيين بعد احتلال بلدهم من قبل أمريكا وايران، وكذلك السوريين بعد اندلاع الصراعات المدمرة والتدخل الخارجي من قبل أطراف دولية واقليمية، ارادت وما تزال تريد، أن لا يكون هناك حل واستقرار في هذين البلدين. أما في حال عدم السماح لهؤلاء اللاجئين بدخول بلدان أخرى وعدم تزويدهم في حال

دخولهم بالحماية والمساعدة، تكون هذه البلدان قد حكمت عليهم بالموت، أو بحياة لا تطاق في الظلال، دون الحصول على سبل الرزق ودون أي حقوق[31].

3.4- التعليم والتعلمّ في برنامج الامم المتحدة الانمائي

1.3.4- مقومات التنمية البشرية للاجئين

يتكون دليل التنمية البشرية، كما يطرحها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، من ثلاثة مكونات أساسية وهي على الشكل الآتي:

الأول- طول العمر، مقاسا بتوقع العمر عند الولادة.

الثاني- المعرفة، مقاسا بنسبة معرفة القراءة والكتابة عند الكبار، ومتوسط سنوات الدراسة.

الثالث- مستوى المعيشة، مقاسا بالقدرة الشرائية بالاستناد إلى معدل الدخل المحلي الإجمالي الحقيقي للفرد. وحيث أن التربية والتعليم لهما دور أساسي في عملية التنمية البشرية فلابد من إتاحة الفرصة أمام كل إنسان لتنمية قدراته التعليمية، ومن أهم الشروط والمقومات الضرورية للإنسان في الثقافة والتعليم، الآتي [32]:

1. حق التعليم للجميع، لأنه من حقوق الإنسان الأساسية في الحياة، وإتاحة الفرصة لكل فرد في تنمية طاقاته من خلال مؤسسات الثقافة والتعليم.
2. إشاعة الحرية في المؤسسات الثقافية والتعليمية وترسيخ أسس الحوار الديمقراطي، ضماناً لرفع الكفاءة في العمل وتجديده وتطويره.
3. القضاء على الأمية، لأن الأمية تعتبر عائقاً من عوائق التنمية والتجديد فهي ميدان للتفكير المتعصب والخرافي والسلطوي.
4. التأكيد على سنوات التعليم الأساسي للجميع والتوسع والتنوع في مؤسسات التعليم الثانوي والجامعي والعالي لمواجهة مطالب سوق العمل.
5. التركيز على مبدأ التعليم المستمر مدى الحياة والإعداد للتعلم الذاتي مما يساعد الإنسان على التكيف مع واقعه حيث يصبح فاعلاً لا مجرد تابع أو مستقبِل فقط.
6. ترسيخ المساواة والتقدير لكل فروع المعرفة الإنسانية وخبراتها سواء كان عملا ذهنيا، عمليا، تنظيميا، فنيا، إنتاجيا، تعليميا أو جماليا.

7. التقدير المتكافئ لمختلف الأنشطة المجتمعية وتكاملها، لأن الإنسان كائن مركب من طاقات مختلفة: بدنية، عقلية، اجتماعية، روحية، وجدانية وتنمية هذه الطاقات يتطلب الوفاء باحتياجاتها البيولوجية والجسمية والمعنوية. وواقع تعليمنا يركز على الإنسان الجزئي عن طريق تلقين وحشو الأذهان بالمعلومات.

2.3.4- التعليم والتعلّم حق أساسي للاجئين

في خضم النزاع، غالباً ما يُعتبَر تعليم اللاجئين أو النازحين الداخليين الذين يصارعون من أجل إيجاد الطعام والمساعدة والملجأ من الكماليات. لكنّ التعليم حق أساسي وضروري لإعادة الأمل والكرامة للأشخاص الذين هُجّروا من منازلهم، وهو يساعدهم على الوقوف مجدداً على أقدامهم وبناء مستقبل أفضل. إنّ اللاجئين المتسلّحين بتعليمهم قبل كل شيء هم الذين يتولون أدوار القيادة أثناء النزوح وعند إعادة بناء المجتمعات التي تتعافى من النزاع. ويرتبط الأمن المستقبلي للأفراد والمجتمعات ارتباطاً وثيقاً بانتقال المهارات والمعرفة والقدرات التي يجري اكتسابها عبر التعليم. وتولي المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، أهمية كبيرة لتأمين تعليم عالي الجودة، وقد وضعت المنظمة استراتيجية للتعليم تمتد من عام 2012 إلى 2016 تهدف إلى تنمية مهارات اللاجئين ومعرفتهم من أجل تمكينهم من عيش حياة صحية ومنتجة، وتعزيز الاعتماد على النفس والتعايش السلمي المستدام، وهذه الاستراتيجية تتضمن الآتي [33]:

الهدف الأول للاستراتيجية، هو الجودة، أي تحسين فرص الحصول على التعليم والتحصيل العلمي في صفوف الأطفال اللاجئين، مع التركيز على بيئة التعلّم، ونوعية التدريس، وتنمية الطفولة المبكرة وبرامج التعلم السريع.

الهدف الثاني للاستراتيجية، هو زيادة فرص الوصول إلى التعليم، بعد المرحلة الابتدائية والتدريب، وتكتسب ميزات التعليم الثانوي أهمية خاصة في صفوف اللاجئين الشباب من حيث تنمية مهارات القيادة والقدرة على المساهمة بشكل إيجابي في مجتمعاتهم في كل من أوضاع اللجوء التي طال أمدها وإعادة الإعمار بعد النزاع.

الهدف الثالث للاستراتيجية، هو توسيع فرص التعليم للاجئين، سواء أكان من خلال المنح الدراسية إلى كليات الدول المضيفة أو من خلال التعليم عن بعد. وبموجب برنامج تموّله

الحكومة الألمانية منذ العام 1992، تقدّم المفوضية منحاً دراسية للتعليم العالي للاجئين، حيث منحت (مبادرة ألبرت أينشتاين) الألمانية الأكاديمية، آلافاً من الشباب اللاجئين اللامعين، منحاً تعليمية سنوية، إلى الجامعات والكليات في دولهم المضيفة. من ناحية ثانية، فإنّ الفرص المتزايدة بتلقي دورات جامعية وشبه مهنية، بما في ذلك عبر التعلم عن بعد، تقدم الأطراف الألمانية إمكانيات متنامية للاجئين، من خلال برامج عديدة، كي يكتسب اللاجئون، الخبرات والمهارات القيادية والإمكانيات الأفضل لكسب العيش والتفاعل الحي مع قطاعات العمل ومختلف شرائح المجتمع ومنظماته.

ضمن هذا السياق، من جهته، يشير أنطونيو غوتيريس، المفوض السامي لشؤون اللاجئين، الى أن المنظمة تسعى وتعمل بالشراكة المبرمة بين المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ومبادرة (علمّ طفلا) القطرية، الى تحقيق الهدف الإنمائي الثاني للألفية الثالثة، من خلال تمكين (10) ملايين طفل غير ملتحقين بالمدارس حول العالم، من الحصول على تعليم ابتدائي جيد المستوى، بحلول عام 2015 /2016. وأكد المفوض السامي أن هذه المبادرة وصلت إلى (400) ألف طفل من اللاجئين المحرومين من الدراسة، في حوالي 12 بلدا، كما ساهمت في إذكاء الوعي بشأن الأسباب الجذرية المتعددة التي تمنع الأطفال من الوصول إلى التعليم، إلى جانب إظهار الحاجة إلى استجابات أكثر شمولية في هذا الصدد. مع الاشارة الى أن عدد اللاجئين من الأطفال والمراهقين من هم خارج المدرسة بلغ 3.2 مليون طفل ومراهق، وأن لاجئا واحدا فقط من بين اثنين من اللاجئين الأطفال، مسجّل في التعليم الابتدائي، فيما (1 من بين 4) مسجّل في التعليم الثانوي، وأن أقل من 1% من المسجّلين في التعليم العالي. أيضا إنه وعلى الرغم من حجم الاحتياجات الإنسانية الهائلة، يظل التعليم يمثل أدنى القطاعات الإنسانية تمويلا على الصعيد العالمي، بنسبة 1,4 في المائة من إجمالي المساعدات الإنسانية في عام 2012، وأن حوالي 86 في المائة من اللاجئين الذين تمت استضافتهم في بلدان نامية، تم فيها إمدادهم بخدمات التعليم بالقدر الأدنى من مستلزماته.

وفيما يتعلق بأولوية التعليم في حالات الطوارئ، ودور المفوضية السامية في توفير التعليم الجيد للاجئين، أوضح المفوض السامي أن وضع المفوضية لـ (استراتيجية تعليم 2012-2016) يهدف بالأساس إلى تطوير مهارات ومعارف اللاجئين، لتمكينهم من عيش حياة صحية ومنتجة، وتعزيز الاعتماد على الذات والقدرة على تحمّل الصدمات. أما فيما يخص شراكة المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في تنظيم "المنتدى العالمي للتعليم" الذي عقد في كوريا في شهر مايو من العام 2015، وما تمخض عنه من اعتماد (إعلان إنشيون)، فقد ورد في هذا

الإعلان، إلى أنه يشجع بلدان العالم على إتاحة التعليم الجامع والمنصف والجيد، وفرص التعلم مدى الحياة للجميع، كما يشكل أساسا للأهداف التعليمية التي تشملها أهداف التنمية المستدامة. وفي الوقت نفسه، وجهت المفوضية السامية للاجئين، اهتمامها وتقديرها للدول المستقبلة للاجئين العراقيين والسوريين، وخص بالذكر الجهود الإغاثية التي تبذلها تركيا لتوفير كافة الخدمات والمستلزمات الإنسانية للاجئين السوريين، مشيرا إلى أن تركيا تستضيف 1.8 مليون لاجئ سوري، أي أكثر من أي دولة أخرى مجاورة لسوريا، كما أشاد بمبادرات البرتغال العديدة في مجال التعليم [34].

جدير بالذكر أن مكتب الأمم المتحدة بجنيف، بالتعاون مع الوفود الدائمة لكل من تركيا والبرتغال وغيرها من الدول، قد نظم فعالية تحت عنوان (تعليم اللاجئين في حالات الطوارئ)، وذلك على هامش اجتماعات الدورة الـ 29 لمجلس حقوق الإنسان، المنعقدة في جنيف خلال الفترة من 15 يونيو وحتى 3 يوليو 2015. فقد استضاف الملتقى، المفوض السامي لشؤون اللاجئين، كما شارك كمتحدثين رئيسيين كل من المدير التنفيذي لمؤسسة أيادي الخير نحو آسيا (روتا)، ومدير إدارة الكوارث والطوارئ التابعة لرئاسة الوزراء التركية (آفاد)، والمدير التنفيذي لمنظمة "الحماية من خلال التعليم"، اضافة الى ممثل المنظمة الدولية للحق في التعليم وحرية التعليم. كما شارك في الملتقى عدد كبير من ممثلي البعثات الدائمة في جنيف وممثلي المنظمات غير الحكومية التي تعنى بشؤون اللاجئين، ومن ذوي الأنشطة في مجالات التوعية بالتعليم والحماية الانسانية. لقد سلط الحدث الجانبي الضوء على أوضاع اللاجئين في المخيمات والخدمات المختلفة التي تقدّم لهم، ومنها التعليم، كما أكد أهمية توافر الخدمات التعليمية كونها الحل الأمثل لبناء حياة جديدة للاجئين وأسرهم، إضافة إلى إدراك وفهم للمصلحة المتوخاة من الاستثمار في التعليم، باعتباره المحرك لكل الأهداف التنموية. ولا شك في أن الملتقى الذي تمحور حول موضوع (تعليم اللاجئين في حالات الطوارئ) يعكس أحد حقوق الإنسان والقضايا الإنسانية الملحة والحيوية، بيد أن هذا التعليم لا يزال مهملا، وغالبا ما يتم التقليل من أهميته. إن التعليم في حد ذاته يعتبر حقا من حقوق الإنسان الأساسية التي ينبغي أن يتمتع بها الجميع، وفي جميع الأوقات، إلا أن التعليم في حالات الطوارئ يعتبر بشكل خاص وسيلة هامة للحفاظ على الحياة، بالنسبة للذين يجدون أنفسهم محاصرين في مناطق النزاع، أو مشردين في مخيمات اللاجئين المتناثرة. وفي السياق ذاته، توافقت الآراء عام 2010 بشأن أول قرار من نوعه يعالج مسألة "الحق في التعليم في حالات الطوارئ" والمتمثل في قرار الجمعية العامة 290/64، الذي يهدف إلى إنقاذ جيل من الأطفال والشباب المشردين، والتركز على تقديم "نظام تعليم

مـزدوج" يتجسـد فـي بنـاء المـدارس فـي مخيمـات اللاجئـين، بالتنسـيق مـع البلـدان المضـيفة للاجئين[35]. ورغم هذه التوجهات المحمودة، حيال تعليم اللاجئين، فإنه وبغض النظر عن مدى الجهود التي يمكن بذلها على المستوى الوطني والاقليمي والدولي، فلا تزال هناك حاجة ماسة للتعاون والتقارب على الصعيدين الثنائي والمتعدد الأطراف حول هذا الهدف، فالمسؤولية المشتركة في احترام وحماية وإعمال الحق في التعليم، تحتم على الجميع تلبية الاحتياجات الإنسانية للاجئين، سواء اللاجئين من العراق أو سوريا أو غيرها من البلدان، من خلال اعتماد نهج متعدد الأبعاد، يضع التعليم في ذروة الأولويات، سواء من حيث تخصيص التمويل أو توفير المساعدة. وهذا الحال الموصوف يتطلب التشديد على الحاجة إلى بذل مزيد من الجهود لحماية المرافق التعليمية والتربوية، من الهجمات ومن استخدامها لأغراض عسكرية في البلدان المضطربة والتي تشهد الصراعات المسلحة والتدميرية للحياة الانسانية، ، خاصة في كل من العراق وسوريا واليمن، هذه الصراعات التي افتعلتها واصطنعتها جهات دولية خارجية ومحلية لها مصلحة في افتعال واستمرار دوامة القتل والخراب، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية بالتعاون والتنسيق مع أطراف اقليمية طامعة في الهيمنة والعدوانية، وفي مقدمتها ايران الساعية للتوسع والهيمنة على حساب العرب والبلاد الاسلامية من جهة، وللعبث في استقرارهم ووحدتهم ووحدة البلدان المنكوبة بالصراعات المستعرة، وبالفتن الطائفية والمذهبية، من جهة ثانية.

ولحل مشكلة التعليم لدى الأطفال اللاجئين، فقد ركّز (مؤتمر الأمم المتحدة الثالث عشر لمنع الجريمة والعدالة الجنائية) المنعقد في الدوحة، للفترة ما بين 12- 19 ابريل نيسان 2015 على هذه المشكلة، ودقّت منظمة الأمم المتحدة ناقوس الخطر (كعادتها في صياغة بياناتها واعلاناتها المنمقة والمستوحاة من جمالية بنود ميثاقها، من دون تطبيق او الزام) محذّرة من أن أطفال اللاجئين في المخيمات يعانون من نقص حاد في التأهيل والرعاية الصحية وغياب أبسط فرص للتعليم، الأمر الذي يهدد جيلاً كاملاً بالضياع، ولأنها الدولة المستضيفة للمؤتمر، تقدمت دولة قطر بمبادرة جرى بموجبها إنشاء صندوق لدعم تعليم أطفال اللاجئين، والبحث عن طرق تمكّن من استيعابهم في مدارس الدول التي لجئوا إليها، وهي مبادرة نالت الاستحسان، حيث تمت الإشادة بهذه المبادرة التي جاءت في وقتها، والتي لامست وترا حساسا طالما أرّق المنظمات الحقوقية المعنية بهموم الطفولة. ولمعرفة حجم الكارثة يكفي أن نعرف أن هناك (320 ألف أو أكثر) طفل سوري في مخيمات اللجوء في لبنان فقط، يحتاجون إلى تعليم بعد استيعاب المدارس اللبنانية لـ (80 ألفا) منهم، بحسب تقرير للبي بي سي، نشر بتاريخ 21/ ايار

مايو 2014، علما أن دراسات أجرتها منظمات حقوقية لبنانية كشفت عن أن دراسة طفل في إحدى المدارس اللبنانية الخاصة تتطلب ما لا يقل عن (600 دولار أمريكي) سنويا، وهو مبلغ تعجز معظم العائلات اللاجئة عن توفيره، مما يؤكد أهمية المبادرات الانسانية من أي طرف، سواء من قطر أو غيرها، لتقاس على هذا، حالة مئات آلاف الأطفال في مخيمات الأردن وتركيا وغيرهما من الدول التي لجأت إليها العائلات العراقية والسورية وسواها [36].

4.4- اللاجئون بين نعمة الأمن والاستقرار وحجم الكارثة

1.4.4- نعمة الأمن والاستقرار

من الحقائق الكبرى التي لا يختلف بشأنها المختلفون في الرأي، أن لا شيء يضاهي نعمة الأمن والاستقرار، ولا شيء أخطر وأشد على الإنسانية من الحروب والنزاعات التي تتسبب في الكثير من المآسي للبشرية التي ما فتئت منظماتها الدولية تحاول جاهدة بناء الإنسان على أساس قويم ليساهم في بناء المجتمع الذي ينحدر منه أو يعيش فيه. ولأن المواطن هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع ينبغي، بل يجب، أن يكون صالحا ومؤهلا ليؤدي دوره كما يجب، ولن يستطيع تحقيق شيء مما ذكر إلا إذا كان متعلماً، حيث يعتبر التعليم صمام الأمان للأفراد والمجتمعات من الانحراف والانزلاق إلى عالم الضياع والتيه، الذي غالبا ما ينتهي بكوارث، فبالتعليم تتقدم الأمم وتزدهر الحضارة، ويكون للحياة قيمة، وبالتعليم يتميز الإنسان عن الحيوان، لكن علينا أن لا نغفل عن أن هذه المبادئ السامية والأهداف النبيلة تحتاج إلى الاستقرار الذي يعتبر العنصر الأول في بناء الحضارة، فبدون الاستقرار لا يمكن لأي دولة أو مجتمع أن يحقق أي هدف من أهداف التنمية أو يوفر للمواطنين حقوقهم الأساسية. فالحروب والنزاعات غالبا ما يكون عنوان ضحاياها الأبرز هم الأطفال الذين تقتل براءتهم، ويحرمون من أبسط حقوقهم ويتداخل عالمهم البريء مع العالم المتوحش الذي لا يقدّر قيمة الطفولة، ولا يدرك أنها بذرة المجتمعات التي ينبغي أن تسقى بتربية طاهرة نقية بعيدا عن رائحة الدم والبارود. ففي السنوات الماضية من عام 2003 حتى الآن 2015، شهدت الدول العربية أحداثا كبيرة وتدخلات اجنبية شريرة وعدوانية، ابتدأت بالعدوان والاحتلال الأمريكي الايراني للعراق، العراق العربي الذي نجح في الوصول إلى الأهداف التنموية، بفضل التعليم الجيد الذي عُرف به وتمّيز به شعبه قبل عام الاحتلال 2003، والذي شهد من بعد ذلك العام المشؤوم، وحتى اليوم، تدميرا شاملاً لكل مرتكزات العلم والتقدم الاقتصادي والمادي، وكل ما يخص التنمية البشرية والحياة الانسانية، بفعل الاحتلال وسياساته التدميرية والوحشية وما زرعه من ميليشيات مسلحة لا تعرف غير

الدمار والقتل والنهب، في اطار المشروع الصهيوني بتشجيع نشوء أو زرع المليشيات وتكوينها في بلاد العرب والمسلمين، كما صرح أحد أعمدة الكيان الصهيوني. وكما يبدو، أن مخطط الخراب ولعبة المصالح الإقليمية والدولية فعلت فعلتها، وفرملت احتلال العراق ليكون نموذجاً أمريكيا لخلق "الفوضى العارمة" أو "الفوضى الخلاقة" بحسب تعبير وزيرة الخارجية الأمريكية، ليعم الدمار والخراب والقتل، وزرع الفتن الطائفية والمذهبية بين أبناء البلد الواحد، عبر تهديم البنى التحتية للبناء والتنمية، وعبر تشكيل الميليشيات المسلحة، وبث الفرقة بينها، على مستوى البلاد العربية، وبخاصة المجاورة والقريبة من الكيان الصهيوني المزروع في فلسطين العربية، مما نتج عن هذه المخططات العدوانية الشريرة، ظاهرة اللاجئين والمهاجرين، والى نزوح الملايين منهم داخل الأوطان، ولجوء ملايين أخرى إلى دول الجوار أو الى دول أوروبية، آوتهم في معسكرات ومخيمات، يفتقر العديد منها إلى أبسط وسائل العيش الكريم، والأخطر في كل هذا أن جيلا جديدا ولد وترعرع في هذا الجو الذي يفتقر إلى كل شيء من أساسيات الحياة، خصوصا حق التعليم الذي يؤهله ليكون طبيعيا.

2.4.4- اللاجئون وحجم الكارثة

من جهة أخرى لفت تقرير التنمية البشرية العربية، إلى فرادة المنطقة العربية، باعتبارها المنطقة التي تلتقى فيها قضية اللاجئين الأطول عهدا في العالم، أي قضية الفلسطينيين، بتلك الأحدث عهدا في العراق وسوريا ودارفور، إذ قدر التقرير عدد اللاجئين في المنطقة بنحو نصف اللاجئين في العالم أو أكثر من ذلك خاصة في العام 2015، الذي برزت فيه قضية اللاجئين السوريين. ووفقا للأرقام التي سجلتها المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ووكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "اونروا"، فإن "عددهم في البلدان العربية نحو 7،5 مليون في 2008 من إجمالي عددهم في العالم البالغ 16 مليونا". ويلفت التقرير الانتباه إلى أن عدد النازحين داخل بلدانهم يفوق عدد اللاجئين "ويبلغ نحو 9،8 مليون مهجر غالبيتهم الكبرى موزعة في ست دول عربية، هي السودان وسوريا والصومال والعراق ولبنان واليمن". وسبق لتقرير صدر عن الأمم المتحدة، أن تحدث عن الوضع بالنسبة إلى المدنيين في دارفور، ووصفه بأنه لايزال "مقلقا للغاية" حيث نزح 2.6 مليون شخص، ويحتاج 7ر4 مليون إلى المساعدة، واعتمد التقرير على تقديرات عام 2008، مما يعني أن عدد اللاجئين بسبب الحرب، قد زاد خلال حركة النزوح الكبيرة التي شهدتها الصومال، بعد القتال الذي نشب في العاصمة بين قوات الحكومة والمتمردين. وفي هذا الصدد، دعا التقرير الدول إلى سلسلة تدابير لتعزيز أمن الإنسان، بينها تسوية النزاعات، وتعزيز حكم القانون

وحماية البيئة وحماية الفئات الضعيفة وإعادة توجيه دفة الاقتصاد للقضاء على الجوع، وإصلاح القطاع الأمني واستقلالية القضاء وغيرها من الخطوات، مشيرا إلى أن "المماطلة ستزيد من انعدام أمن الإنسان". يذكر أن التقرير تضمن واعتمد في تقييمه على أربعة معايير، هي:

1. مدى قبول المواطنين لدولتهم.
2. التزام الدولة بالعهود الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان.
3. كيفية إدارة الدولة لاحتكار حق استخدام القوة والإكراه.
4. مدى قدرة الرقابة المتبادلة بين المؤسسات على الحد من إساءة استخدام السلطة.

من الطرف الثاني، ينبغي التنويه بان هناك في الدول العربية ظاهرة لجوء أخرى، هي "المهاجرون داخليا"، وهم أكثر عددا من اللاجئين في المنطقة وأوسع انتشارا، وتقدر أعدادهم بنحو 9.8 مليون شخص. ونسبة كبيرة منهم تتركز في ست دول عربية هي: السودان وسورية والصومال والعراق ولبنان واليمن. ولذلك ينادي التقرير بضرورة البحث عمن يخفف من الإحساس بانعدام الأمن لدى الفئات الأضعف في المنطقة، والإقرار بما تعانيه من إجحاف، "لأن ليس في مقدور الدولة أو المجتمع حماية ما لا يريانه رأي العين".

من الطرف الثالث، يقدر التقرير عدد الذين اضطروا إلى الفرار من موطنهم بسبب النزاعات بحوالي 17 مليون نسمة، ولم يتطرق التقرير لعدد المهجرين والمنفيين، أو طالبي اللجوء في بلدان العالم لأسباب سياسية، بما في ذلك الهجرة غير الشرعية المنطلقة في معظمها من السواحل العربية، وهو معيار يؤكد الاستنتاج الذي خرج به الباحث عن الدور التخريبي لبعض الدول المهيمنة في الساحة الدولية والاقليمية، في اشعال الحرائق وبث ونشر الفوضى واذكاء الفتن الطائفية والمذهبية، هنا وهناك، لسحق الاسلام وتشويه رسالته السماوية السمحاء والانسانية العظيمة، اضافة الى إغفال أو تغافل المنظمات الدولية ومنها الأمم المتحدة، لدورها في التطبيق العادل لميثاقها، والكيل بمكيال واحد، وليس بمكيالين، في معالجة الصراعات، وفي بسط الأمن الحقيقي واستقرار الأوضاع الاقتصادية والأمنية في البلدان التي تتعرض للحروب والتدخلات الخارجية الدولية والاقليمية [37].

لقد بلغ عدد النازحين واللاجئين بسبب النزاعات في العالم، مستوى قياسيا، قدره ستون مليون شخص عام 2014, ما يربو على نصفهم أطفال. وقال المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنطونيو غوتيريس، إن المجتمع الدولي فشل مرتين، الأولى عندما لم يقدر على منع اندلاع النزاعات المسلحة، والثانية عندما لم ينجح في وضع حد لتلك النزاعات. وأكد

غوتيريس، لدى مشاركته في حلقة 2015/6/18 من برنامج "الواقع العربي"، أن الموارد الموجودة حاليا بحوزة المنظمات والوكالات الدولية الإنسانية غير كافية، مما أدى إلى حالة من العجز عن مساعدة اللاجئين، كما يحتاجون. وذكر أن العالم ينفق أموالا هائلة على الحروب وافتعال الحروب، مقارنة بنفقاته ذات البعد الإنساني، وأوضح أن الأموال المخصصة للأسلحة تزيد ست مرات على الأموال المرصودة للمساعدات والتنمية. وشدد المسؤول الأممي على ضرورة تقديم الدعم للدول المضيفة للاجئين، خصوصا تركيا والأردن ولبنان، مناشدا الدول الغنية في الغرب والخليج العربي، فتح حدودها أمام اللاجئين السوريين والعراقيين. وتابع القول "آن الأوان كي تتحمل الدول الغنية بعض العبء، وتستقبل مزيدا من اللاجئين الذين زادت أعدادهم بشكل لافت في السنوات الأخيرة" (38). وانتقد أطراف النزاع التي رأى أنها في كثير من الأحيان لا تحترم القانون الإنساني الدولي، مشيرا إلى أن الجميع خاسرون في الحرب. وفيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين أوضح المفوض السامي أن الكثير منهم في سوريا اضطروا للهروب إلى لبنان، وهم اليوم يعيشون هناك مأساة حقيقية ثانية. يجدر ذكره أن دولا مثل تركيا والأردن ولبنان لا تستطيع وحدها، دون دعم دولي حقيقي، أن تقدم فرصة حياة أفضل للاجئين.

5.4- قدرات اللاجئين في الميزان

1.5.4- قدرات اقتصادية آمنة

لما كان اللاجئون الفارون من نيران الخراب والفتن، ومن التدخلات الخارجية الشريرة والخبيثة، ومن الحروب المصطنعة في بلدانهم، مثل العراق وسوريا واليمن وبلدان أخرى، مستمرين بالتدفق على أوروبا، فإن البعض يرى أن اللاجئين يلعبون أدوارا مهمة، في تنمية اقتصاديات الدول المضيفة، التي توفر لهم ملاجئ آمنة. فقد نشرت صحيفة ذي إندبندنت مقالا للكاتب بن تشو قال فيه: إن هناك أدلة، على أن اللاجئين يسهمون في تحريك عجلة اقتصاد أوطانهم الجديدة، وأوضح أن الفرق ليس كبيرا بين تعريف اللاجئ والمهاجر، فبعض اللاجئين يبحثون عن ملاذ آمن لدى الدول الغنية، لأنهم لا يرغبون في الاعتماد على مساعدات الغير إلى الأبد. كما أن الدول المضيفة تتكفل في البداية بإيواء وإطعام اللاجئين الفارين من الصراعات المصطنعة والفتن في بلدانهم الأصلية، ولكن الأدلة تشير إلى أن هؤلاء اللاجئين سرعان ما يبدؤون برفد الاقتصاد في هذه الدول على المدى المتوسط. وقد أشارت أبحاث من أوغندا، التي تستضيف أعدادا كبيرة من اللاجئين من دول مثل الكونغو وجنوب السودان، إلى أن هؤلاء اللاجئين تحولوا إلى تجار ومستهلكين وأصحاب أعمال. كما أن اقتراح كينيا لإغلاق (مخيم

كاكوما) الكبير قبل سنوات، وهو المخيم الذي يستضيف مشردين من أكثر من 15 دولة مجاورة، أثار ضجة كبيرة لدى الأهالي وذلك لأن الكينيين يعتبرونه مصدر توظيف يجدون فيه فرصا للعمل. وفي ذات الوصف.

هناك أمثلة أخرى عن اللاجئين في دول أوروبية، مثل أستراليا وبريطانيا وغيرهما، حيث يتحولون إلى أصحاب أعمال، ويسهمون في تنمية وازدهار الدول.. كما أن اللاجئين الفارين من بلدانهم يكونون على الأغلب مؤهلين ومثقفين، ويمتلكون مهارات مختلفة يوظفونها في بلدانهم المستضيفة. وفي الوقت الذي تتجه الأنظار الأوروبية، الى الاهتمام بقضايا اللاجئين الانسانية والتعليمية والصحية وسواها، فإن التوقعات تشير الى أنه وبحلول سنة 2025 سيكون 20% (100 مليون) من سكان اوروبا فوق سن 65، وعدد كثير منهم فوق سن 80 سنة. كذلك تشير التوقعات بان عدد سكان المانيا سيكون 70 مليون بحلول سنة 2060، أي اقل بـ 10 ملايين من عدد نفوسهم الحالي 80 مليون[39]. مما يدل على حاجة اوروبا للشبان العرب والمسلمين في استمرار نهضتهم، مع أهمية وتقدير الدوافع والمواقف الانسانية لدولة المانيا والنمسا وغيرها من الدول في أوروبا، في معالجة أزمة اللاجئين التي تتطور الأمور حولها يوما بعد يوم.

من جهته، دعا اتحاد أصحاب العمل في ألمانيا (بي دي ايه) لتسهيل الالتحاق بسوق العمل بالنسبة لطالبي اللجوء، وأعلن الاتحاد ذلك في وثيقة حصلت وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ) على نسخة منها، وشدد الاتحاد على ضرورة بحث حالة طالبي اللجوء والأشخاص الذين لم يتم البت في ترحيلهم، أي الذين تم رفض طلبات لجوئهم، ولكن لم يتم ترحيلهم لأسباب متعددة، على نحو أكثر دقة. وأوضح الاتحاد سبب أهمية ذلك، بأن هناك أشخاصا حاصلين على مؤهلات جيدة وذوي خبرات مهنية مطلوبة في سوق العمل بين طالبي اللجوء، ولابد من الاستفادة منهم في سوق العمل المحلي على نحو أفضل. في الوقت ذاته، أكد الاتحاد أنه من الواضح أن هذه النوعية من طالبي اللجوء لا يمكن أن تحل محل المهاجرين ذوي الكفاءات المهنية الجيدة الذين يأتون إلى ألمانيا بشكل هادف، وشدد أيضا على ضرورة ألا يتم ربط الحق في اللجوء بنوعية المؤهلات التي يحملها طالب اللجوء. كما شدد الاتحاد الألماني على ضرورة دعم إجراءات اكتساب اللغة والدمج في المجتمع، وأشار إلى أن هناك أوجه قصور في هذين المجالين على وجه الخصوص، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة الالتحاق بسوق التدريب المهني أو سوق العمل، مما يتطلب الحد من العوائق القانونية للالتحاق بسوق العمل والتدريب المهني

بالنسبة لطالبي اللجوء، ومن لم يتم البت في ترحيلهم الذين لا يخضعون لحظر العمل وأقاموا غالبا لأعوام كثيرة في ألمانيا [40].

2.5.4- جني الثمار وليس الوبال

أوردت وكالة أسوشيتد برس تقريرا يعدد المآثر التي ستجنيها القارة الأوروبية، من لجوء عشرات الألوف من البشر في السنوات الماضية إليها، على عكس ما تحاول وسائل إعلام غربية أخرى الترويج له بأن هذه ظاهرة ستعود بالوبال على الدول المستضيفة لهم. وتقول الوكالة إن تدفق اللاجئين بأعداد هائلة إلى أوروبا في العقود الأخيرة ليس مجرد حالة إنسانية طارئة، بل هو بمثابة ضربة حظ للعديد من دول القارة العجوز التي يهددها بالفعل خطر اقتصادي يتمثل في شيخوخة سكانها. فتدني معدلات المواليد يعني ندرة القوى العاملة الأوروبية على مدى السنوات القادمة، بحيث قد لا تجد الأعداد المتعاظمة من السكان المتقاعدين عن العمل من يعولهم، لذا فإن وصول آلاف اللاجئين الشبان، وأغلبهم ممن تلقوا قسطا وافرا من التعليم، من شأنه أن يعزز إمكانيات المنطقة الاقتصادية على المدى البعيد. وتبقى القضية الأهم، في كيفية دمج هؤلاء في مجتمعاتهم الجديدة، وفي عدد الوظائف التي يمكن للدول الأوروبية أن توفرها لهم، فألمانيا أكبر الدول الداعية إلى الترحيب باللاجئين، فهي أكثر من سيجني فوائد سريعة من المهاجرين، ذلك أنها تتمتع بسوق عمل قوية وشواغر عمل كثيرة، وعلى النقيض من ذلك، فإن الأمر يستغرق وقتا طويلا بدول، مثل اليونان وإيطاليا، ذواتي الاقتصاديات الأضعف، حتى تنعكس عليها آثار الهجرة إيجابيا، فهي لا تزال تكافح لكي توفر وظائف لسكانها، على الرغم من أنها هي الأخرى تعاني من خطر "القنبلة السكانية الزمنية". وأعادت أسوشيتد برس إلى الأذهان، ما صرح به رئيس مفوضية الاتحاد الأوروبي، جان كلود يونكر، في اغسطس 2015، حين قال "دعونا لا ننسى أننا قارة هَرِمة، من حيث التراجع السكاني. نحن سنحتاج إلى مواهب".

من هنا، وقبل أن تبدأ تدفقات اللاجئين هذا العام 2015، توقع مكتب الإحصاءات الألماني أن تتناقص أعداد السكان، البالغ عددهم حاليا 80.8 مليون نسمة، بمعدل العُشْر أو أكثر بحلول عام 2060. كما تتوقع ألمانيا أن تنخفض القوى العاملة فيها بمعدل ستة ملايين خلال 15 سنة القادمة. ويقول المكتب، في تقريره، إن استضافة ثمانمائة ألف لاجئ تقريبا من سوريا والعراق ودول أخرى هذا العام 2015، سيكلف ألمانيا زهاء ستة مليارات يورو (6.6 مليارات

دولار أميركي) في شكل برامج رعاية اجتماعية وتعليم لغة للوافدين الجدد. وطبقا لتقديرات الخبير الاقتصادي ببنك يونيكريديت، أندرياس رييس، فإن "طوفان الواصلين الجدد" خلال السنوات القليلة القادمة، قد يجعل الاقتصاد الألماني ينمو بنسبة 1.7% إضافية بحلول عام 2020. ويقول دييتر زيتشي (الرئيس التنفيذي لشركة دايملر صانعة سيارات وشاحنات مرسيدس) إن "ألمانيا باستيعابها أكثر من ثمانمائة ألف شخص، بحاجة إلى مساعدتنا، فهي تضطلع بعمل جبار، لكن ذلك قد يشكل في أحسن الأحوال أساسا لمعجزة اقتصادية ألمانية جديدة". أما السويد التي تعد ثانية أكبر دول الاتحاد الأوروبي، بعد ألمانيا، في استضافة اللاجئين، فقد استقبلت ثمانين ألفا من طالبي حق اللجوء العام الماضي 2014، فهي تنظر للقادمين الجدد على أنهم خير كله، رغم ما قد تتكبد من تكاليف مباشرة وباهظة، ولكن وزيرة التعاون كريستينا بيرسون تنظر للأمر من زاوية مصلحة السويد فتقول بصراحة ووضوح: "نظرا لشيخوخة سكاننا، فإننا مضطرون لاستبدال أولئك الذين يتركون سوق العمل" [41].

الفصل الخامس

الاستنتاجات

1. كل حقيقة علمية هي في الأصل حقيقة قرآنية، ويسرّ الوحي الإلهي في القرآن والسنة، تفسير هذه الظواهر الكونية والعلمية، لاجتهاد المتخصصين من العلماء على مر العصور، ففي كل عصر يجد الناسُ علماً جديداً لم يكن فهمه متاحاً لمن سبقهم من الناس في عصور مضت. وسيظل القرآنُ والسنة رسالتين متجددتين للناس جميعاً منذ لحظة التنزيل وإلى يوم القيامة.
2. إن الإعجاز العلمي يتركز على الإشارات العلمية التي ذكرت في أكثر من ألفي آية قرآنية، وفي الأحاديث النبوية ذات الطابع العددي، فضلاً عن الإعجاز اللغوي والبياني والتاريخي.
3. من إعجاز القرآن والسنة، أنه جاء بكليات العلوم مجتمعة في كلماته، وترك تفصيلاتها لفكر الإنسان في كل عصر من العصور بقدر ما آتاه الله من علم. ومن أهم الأمور في منهج دراسة الإعجاز العلمي عدم فصل الحقائق العلمية المذكورة في الآية الكريمة عن مقصد الهداية الدينية فيها، والتي هي لخير الإنسان في الدنيا والآخرة.
4. ينبغي على الإنسان المزمن أن يؤدي عبادته في المسجد صلاة لله تعالى، ثم يخرج من المسجد إلى صلاة أخرى لله تعالى في المعمل أو المرصد أو المختبر، فهذه صلاة أخرى لله عز وجل في محراب العلم، فالتدبر العلمي في سنن الله الكونية يجب أن تكون متصلة بتدبر آيات الله في كتابه العزيز، وهذا هو أساس المنهج العلمي لبيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
5. لم تعد التنمية الشاملة المستدامة تعتمد على رأس المال المادي فقط، بل إن الاحتياج الأكثر أهمية يتمثّل في وجود قوى عاملة مدرّبة ومؤهلة على الإنتاج الأكثر، والنوعية الأفضل، إذ تشكلُ هذه القوى الرأس مال البشري الذي يتراكم من خلال التعليم.

6. تبرز أهمية وضرورة التعليم في تنمية الموارد البشرية، وبالتالي في رفع مستويات المعيشة، من خلال العلاقة الوثيقة بين التعليم وتنمية الموارد البشرية ومستويات المعيشة.
7. بما أن التعليمَ هو مركزُ التقدم الى أمام، وترتبط به حافاتُ المستقبل في لحظة الحاضر، فهو يختلف عن غيره من المجالات، على اعتبار أنه بحاجة مستمرة للتطوير والتحسين، ولارتباطه الوثيق بالعنصر البشري الذي يعتبر محور العملية التعليمية برمتها، والذي يتأثر ويؤثر بدائرة الظروف المحيطة به.
8. إن البنية التحتية للمؤسسة التعليمية، والتجهيزات المتوفرة ووسائل وتقنيات التدريس، معايير يمكن تقويمها كمؤشرات لمستوى جودة أداء المؤسسة، وكذلك اليوم الدراسي، وطرائق تقويم مستوى التحصيل العلمي، ومعدلات الأنشطة الذاتية للطلاب، فهي مدخلات وعمليات يمكن أن تكون معايير ومؤشرات على مدى التوفير الصحيح والمتوازن لمعايير التعليم الفعّال.
9. إن جوهر ومحتوى التعليم والتعلمّ وفلسفتهما الخاصة والعامة، هو الانسان، من صغره حتى كبره في السن، وعليه فإن الطالب هو أهم المحاور الرئيسية للعملية التعليمية، ويكون مؤشراً إيجابياً إذا عملت المؤسسة على انتقائه واعداده الاعداد الصحيح من البداية، من خلال سياسات القبول والمتابعة والتواصل عبر مراحل العملية التعليمية ومستوياتها، التي تعتبر الخطوة الأولى نحو كسب الحاضر وضمان المستقبل.
10. أضحى الاستثمار في التعليم، استثماراً في رأس المال البشري، لا تقل أهميته عن الاستثمار في الآلات والأجهزة (كرأس مال مادي)، فالتعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص، يعتبر من الأدوات الأساسية التي تسهم في تكوين المجتمع وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل، إنه السبيل الأكيد لإعداد القوى البشرية المتخصّصة التي تخطّط للنموّ المادي للمجتمع وتسهر على تنفيذه، على اعتبار أن التعليم، هو الذي يعدّ الباحثين لاستقرار المستقبل وتحديد ملامحه، كما أنه الدافع للمواهب الفكرية والطاقات الخلاقة المبدعة في المجالات كافة.
11. إن التعليم أداة لا غنى عنها في صنع المستقبل الذي ترجوه أية أمة، والمؤسسة التعليمية، مدرسة أو معهد أو جامعة، مجرد وسيلة مرنة، متطورة الأهداف، متحركة الوسائل، لكون التعليم والتنمية البشرية، هما من أجل الإنسان، ويقوم بهما الإنسان، فهو هدف التنمية وهو وسيلتها.

12. يعتمد نظام التعليم في ألمانيا على مبدأ التكامل ما بين التعليم العام والفني، وبين الدراسة النظرية والتدريب العملي، مع الاشارة الى ان قنوات التعليم بينهما مفتوحة، وفرص استكمال الدراسة العالية (ما بعد الثانوي) متاحة أمام خريجي التعليم الثانوي الفني.
13. يُعتبر منح حق اللجوء للأشخاص الفارين من ظروف وأحوال الحروب والفتن والاضطهاد، في بلدان أجنبية، من أقدم السمات المميزة للحضارة.
14. التعليم حق أساسي وضروري لإعادة الأمل والكرامة للأشخاص الذين هُجّروا من منازلهم، وهو يساعدهم على الوقوف مجدداً على أقدامهم وبناء مستقبل أفضل.
15. يظل التعليم في أوساط اللاجئين، يمثل أدنى القطاعات الإنسانية تمويلا على الصعيد العالمي، بنسبة 1,4 في المائة من إجمالي المساعدات الإنسانية في عام 2012، وأن حوالي 86 في المائة من اللاجئين الذين تمت استضافتهم في بلدان نامية، تم فيها إمدادهم بخدمات التعليم بالقدر الأدنى من مستلزماته.
16. إن مخطط الخراب ولعبة المصالح الإقليمية والدولية فعلت فعلتها، وفرملت احتلال العراق ليكون نموذجاً سيئاً لخلق "الفوضى العارمة" أو "الفوضى الخلاقة" بحسب تعبير وزيرة الخارجية الأمريكية، ليعم الدمار والخراب والقتل، وزرع الفتن الطائفية والمذهبية بين أبناء البلد الواحد، عبر تهديم البنى التحتية للبناء والتنمية، وعبر تشكيل الميليشيات المسلحة، وبث الفرقة بينها، على مستوى البلاد العربية، وبخاصة المجاورة والقريبة من الكيان الصهيوني المزروع في فلسطين العربية، مما نتج عن هذه المخططات العدوانية الشريرة، ظاهرة اللاجئين والمهاجرين، والى نزوح الملايين منهم داخل الأوطان، ولجوء ملايين أخرى إلى دول الجوار أو الى دول أوروبية، آوتهم في معسكرات ومخيمات، يفتقر العديد منها إلى أبسط وسائل العيش الكريم، والأخطر في كل هذا أن جيلا جديدا ولد وترعرع في هذا الجو الذي يفتقر إلى كل شيء من أساسيات الحياة، خصوصا حق التعليم الذي يؤهله ليكون طبيعيا.
17. لا تزال هناك حاجة ماسة للتعاون والتقارب على الصعيدين الثنائي والمتعدد الأطراف، حول التعليم في أوساط اللاجئين، فالمسؤولية المشتركة في احترام وحماية وإعمال الحق في التعليم، تحتم على الجميع تلبية الاحتياجات الإنسانية للاجئين، سواء اللاجئين من العراق أو سوريا أو غيرها من البلدان، من خلال اعتماد نهج متعدد الأبعاد، يضع التعليم في ذروة الأولويات، سواء من حيث تخصيص التمويل أو توفير المساعدة.
18. بدون الاستقرار لا يمكن لأي دولة أو مجتمع أن يحقق أي هدف من أهداف التنمية أو يوفر للمواطنين حقوقهم الأساسية. فالحروب والنزاعات غالبا ما يكون عنوان ضحاياها

الأبرز هم الأطفال الذين تقتل براءتهم، ويحرمون من أبسط حقوقهم ويتداخل عالمهم البريء مع العالم المتوحش الذي لا يقدّر قيمة الطفولة، ولا يدرك أنها بذرة المجتمعات التي ينبغي أن تسقى بتربية طاهرة نقية بعيدا عن رائحة الدم والبارود.

19. هناك أدلة، على أن اللاجئين يسهمون في تحريك عجلة اقتصاد أوطانهم الجديدة، وأن الفرق ليس كبيرا بين تعريف اللاجئ والمهاجر، فبعض اللاجئين يبحثون عن ملاذ آمن لدى الدول الغنية، لأنهم لا يرغبون في الاعتماد على مساعدات الغير إلى الأبد. كما أن الدول المضيفة تتكفل في البداية بإيواء وإطعام اللاجئين الفارين من الصراعات المصطنعة والفتن في بلدانهم الأصلية، ولكن الأدلة تشير إلى أن هؤلاء اللاجئين سرعان ما يبدؤون برفد الاقتصاد في هذه الدول على المدى المتوسط.

20. إن تدفق اللاجئين بأعداد هائلة إلى أوروبا في العقود الأخيرة ليس مجرد حالة إنسانية طارئة، بل هو بمثابة ضربة حظ للعديد من دول القارة العجوز التي يهددها بالفعل خطر اقتصادي يتمثل في شيخوخة سكانها. فتدني معدلات المواليد يعني ندرة القوى العاملة الأوروبية على مدى السنوات القادمة، بحيث قد لا تجد الأعداد المتعاظمة من السكان المتقاعدين عن العمل من يعولهم، لذا فإن وصول آلاف اللاجئين الشبان، وأغلبهم ممن تلقوا قسطا وافرا من التعليم، من شأنه أن يعزز إمكانيات المنطقة الاقتصادية على المدى البعيد.

21. إن "ألمانيا باستيعابها أكثر من ثمانمائة ألف شخص، بحاجة إلى مساعدة، فهي تضطلع بعمل جبار، لكن ذلك قد يشكل في أحسن الأحوال أساسا لمعجزة اقتصادية ألمانية جديدة". أما السويد التي تعد ثانية أكبر دول الاتحاد الأوروبي، بعد ألمانيا، في استضافة اللاجئين، فقد استقبلت ثمانين ألفا من طالبي حق اللجوء العام الماضي 2014، فهي تنظر للقادمين الجدد على أنهم الخير كله، رغم ما قد تتكبد من تكاليف مباشرة وباهظة، ولكن وزيرة التعاون كريستينا بيرسون تنظر للأمر من زاوية مصلحة السويد فتقول بصراحة ووضوح: "نظرا لشيخوخة سكاننا، فإننا مضطرون لاستبدال أولئك الذين يتركون سوق العمل".

المراجع

1. د. أحمد عبد الرحمن فريقي. أهمية التعليم في التنمية البشرية والتطور الاقتصادي والاجتماعي.- منتديات ستار تايمز. الانترنت.
2. د. سلمان زيدان. ادارة الجودة الشاملة.-عمان: دار المناهج للطباعة والنشر، الجزء الأول، 2010، ص67.
3. د. أحمد مندور، د. أحمد رمضان: اقتصاديات الموارد الاقتصادية والبشرية, مكتبة المعارف الحديثة, بيروت,1990,ص337.
4. الإعجاز العلمي في القرآن ومناهجه. بحث في الانترنت.
5. موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة. موقع الكتروني.
6. القرآن الكريم.- المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1405هـ.
7. منتديات ابن الاسلام، موقع الكتروني.
8. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. الموقع الالكتروني للجامعة، الانترنت.
9. شرف العلم. ديوان العرب، موقع الكتروني.
10. المكتبة الاسلامية. شبكة اسلام ويب.
11. المرجع السابق نفسه.
12. مداد العلماء أفضل من دم الشهداء. بريدة ستي، موقع الكتروني.
13. شرف العلم. ديوان العرب، موقع الكتروني.
14. المرجع السابق نفسه.
15. المرجع السابق نفسه.
16. د. أحمد عبد الرحمن فريقي. أهمية التعليم في التنمية البشرية والتطور الاقتصادي والاجتماعي. مرجع سابق.
17. البنك الدولي. موقع الكتروني في الانترنت.
18. أماني شلتوت. تنمية الموارد البشرية كمدخل استراتيجي لتعظيم الاستثمار في العنصر البشري.- فلسطين: غزة, الجامعة الإسلامية، كلية التجارة, 2009، ص24- 25.
19. د. سلمان زيدان. ادارة الجودة الشاملة. الجزء الأول، مرجع سابق، ص39.

20. د. سلمان زيدان. ادارة الجودة الشاملة.-عمان: دار المناهج للطباعة والنشر، الجزء الثاني، 2010، ص138.
21. عبد الله العابد أبو جعفر. معايير الجودة ومؤشراتها في التعليم العالي. طرابلس: اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، 2009.
22. البنك الدولي. موقع الكتروني في الانترنت.
23. د. أحمد عبد الرحمن فريقي. أهمية التعليم في التنمية البشرية والتطور الاقتصادي والاجتماعي. مرجع سابق.
24. د. سلمان زيدان. ادارة التدريب وتكنولوجيا الأداء البشري.- صنعاء: النهاري للطباعة والنشر، 2008، ص103.
25. د. أحمد عبد الرحمن فريقي. أهمية التعليم في التنمية البشرية والتطور الاقتصادي والاجتماعي. مرجع سابق.
26. عماد الدّين أحمد المصبّح. دور التعليم والتربية وتطور المعرفة التكنولوجية في تحقيق التنمية البشرية.- دمشق: الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، ورقة مقدمة إلى ورشة العمل حول "تحديات التنمية البشرية في الوطن العربي ودور النقابات في مواجهتها وتوفير فرص عمل للشباب"، 22-2006/4/27.
27. التعليم في المانيا. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موقع بالأنترنت.
28. المرجع السابق نفسه.
29. المرجع السابق نفسه.
30. البنك الدولي. موقع الكتر وني في الانترنت.
31. © UNHCR/H. Caux، تدفق عبر الحدود.
32. محمود نزال. تنمية الموارد البشرية ودور التعليم في رفع فعاليتها في الأراضي الفلسطينية.- الحوار المتمدن، العدد: 1750، 2006.
33. © UNHCR/L.Addario، موقع الكتروني.
34. قنا الشرق. بوابة الشرق، 2015/6/17، موقع الكتروني.
35. المرجع السابق نفسه.
36. محمد سيد أحمد. أطفال اللاجئين وحلم التعليم. بحث في الانترنت.
37. اللاجئون في الدول العربية. العالم العربي: تقرير حول التنمية الإنسانية سنة 2009. الانترنت.
38. الجزيرة نت. موقع الكتروني.
39. المرجع السابق نفسه.

40. Deutschland Flüchtlinge kommen nach Tröglitz موقع الكتروني في الانترنت.
41. أسوشيتد برس. شيخوخة الأوروبيين دفعتهم لاستقبال اللاجئين. الانترنت.